التربية بالقدوة
بين
المثال الأسمى والنموذج الهابط

تأليف:
محمد بن الدناه الأجودي الشنقيطي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

تصدير

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٤ – ٢٧

قال ﷺ: "مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه رائحة طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة" متفق عليه.

قال الشاعر:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

المقدمة

لا غرو أن تشكل التربية أولوية كبرى في أذهان المفكرين والمربين والمصلحين الإسلاميين وغير الإسلاميين عبر مختلف العصور، فتناولها الدراسات والأبحاث في شتى الجوانب والأبعاد، غير أنه مع تراجع المد الإسلامي طويت صفحة الكثير من نفائس التربية الإسلامية وأسدل الستار على كتب بكاملها، ليفسح المجال للتربية والتعليم الوافدين من أوروبا، فيسود تعليم وفق النموذج الأوروبي في البلاد الإسلامية كلها بعد الاستقلال وتتسرب مفاهيم التربية الغربية شيئاً فشيئاً في غياب النظرة الفاحصة والميزان القويم، الشيء الذي ظهرت نتائجه السلبية لا على مستوى الضعف العلمي والانحطاط الأخلاقي والفساد العقدي فحسب بل على صعيد الإفلاس المادي والانهيار الصحي كذلك، الأمر الذي اعتبره كثير من الباحثين عائد إلى غياب القدوة الحسنة أو انحسارها في مسرح الحياة العامة وفي ميادين التربية بشكل خاص، مقابل تزايد وسيادة القدوة السيئة أو النموذج الهابط، وهو ما يطرح جملة من الأسئلة تشكل مادة هذا البحث ومحتواه، من بينها:

كيف ننشئ الجيل الصالح الفاعل في هذه الحياة؟ وبم تتجلى القدوة الصالحة في حياتنا الخاصة في جو مغاير للقدوة الحسنة وبعيد من معالم المثال الأسنى؟ وما مفهوم القدوة الحسنة وما هي ملامحها؟ وما هي مراتبها؟ ومن هم نماذجها وما هي شروط بنائها؟ وإلى أي اتجاه يسير أثرها؟ وما هي أسباب غيابها؟ ثم ما هي ملامح النموذج الهابط الذي حل محلها؟ ومن هم نماذجه؟ وما هي آثاره وتبعاته، وما هي أسباب ظهوره وطغيانه، وهل تلوح في الأفق القريب وسائل وأدوات العلاج؟

وهي أسئلة جادة تتطلب إجابات صريحة ودقيقة حتى لا يظل في أعناق المربين وزر الحيرة التي يقع فيها كثير من الناس الراغبين في تنشئة الجيل تنشئة صالحة، ولا أزعم أن عندي ولا عند أحد من المربين على الإطلاق حلولاً سحرية لهذه المشكلات وإجابات نهائية عن هذه التساؤلات بل لا توجد في الواقع حلول سحرية لأي مشكلة في الأرض على الإطلاق، فلا بد لحل أية مشكلة أو الإجابة على أي سؤال أن يبذل الجهد في ضوء العزيمة الصادقة وتلك سنة

الله تعـــالى ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ النساء: ١٢٣ - ١٢٤ ، وفي هذا الإطار بالذات يتنـــزل بحثي في هذا الموضوع، علي أن أكشف عن الأسباب الحقيقية أو أتصيد البلسم الشافي لما يعانيه تعليمنا من ضعف في المستويات ومحدودية في المردود، وتأخر في السير وعجز في مجال الإبداع، فأسهم بذلك في البناء الســـليم في المجتمـــع وفـــق شـــروط ومقتضيات الإصلاح العلمية الأصيلة، وتلك أهم دوافع الاختيار التي من بينها:

- N -أن التربية بالقدوة كانت المحور في تربيتنا الإسلامية قبل أن تختنـــق بســـبب توافـــد التربيات الأجنبية عليها، فينبغي الكشف عن سر تلك الأولوية التي أعطيت للقدوة في تاريخ التربية المهتدية المستنيرة كلها.
- O -أن الكتب التي ألفت في التربية حتى الآن حسب ما حوته المكتبات الوطنية لم يفـــرد أي من منها للتربية في هذا البعد الخطير، فكان أولوية الأولويات في دراسة ومراجعة التربية في نظري.
- P -أن هذا الأسلوب في التربية هو سر نجاح نظامنا المحظري على صعيدي العلم والعمل، فينبغي لنا أن نصون هذا الأسلوب في محاظرنا وننقله إلى مدارسنا النظامية الشـــيء الذي يقتضي الكشف عن مختلف أبعاده تحديداً وبياناً وتمحيصاً وانتقاء.

وقد اعترضتني بالرغم من هذه الدوافع جملة من الصعوبات كان أهمها:

- صعوبة استقصاء مصادر ومراجع الموضوع، نظـــراً لكثرتهـــا وتشـــتتها واخـــتلاف المصطلحات والمفاهيم والعناوين والتي تتناول من خلالها هذا الموضوع، وضآلة الحيز الذي تخصصه له.
- صعوبة التحكم في الموضوع باعتباره يدخل في نختلف أبعاد العملية التربوية ويتجلى في شتى أساليبها ويتناول كافة مضامينها، فهو المحور الذي تنبثق منه صنوف أشعتها.

- استشعار صعوبة المحاولة بالنظر إلى ضخامة الموضوع إزاء جهدي الذي قد لا يفي بالإجابة الكاملة على كل المشكلات التي أثرت في صدر هذا الموضوع، وعزائي أن الله الرحيم لا يكلف نفساً إلا ما آتاها، وقد قسمت هذا الموضوع منهجياً وفق المحاور التالية:

N -**مقدمة** عامة أثارت الإشكالية وكشفت مبررات الاختيار وصعوبات الإنجاز.

O -الفصل الأول: "**الأبعاد والمضامين**" وتناول مفهوم القدوة وإطارها المرجعي والحكمة منها وملامحها مكانتها بين أساليب التربية.

P -الفصل الثاني: "**الأدلة والمقتضيات أو الشواهد والشروط**" وخصصته للشواهد من القرآن السنة المطهرة وأقوال الحكماء والمربين والشعراء ونتائج الدراسات، ثم بينت فيه قواعد بناء القدوة الصالحة ومعوقاتها، وأنهيته بتحديد معيار القدوة أو ميزان النموذج.

Q -الفصل الثالث: "**القدوة الصالحة نماذجها وأمثلتها**" وتناولته من لخلال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم والصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله تعالى والأئمة الحكماء والعارفين والزهاد ثم أنهيته بالإعلام المستنير والعادة الخيرة والآثار المترتبة عن القدوة الصالحة.

R -الفصل الرابع : "**القدوة السيئة أقطابها وآثارها**" وتعرضت فيه لنشأة القدوة ولأصنافها وأصدائها في العالم الإسلامي ثم لآثارها ونتائجها.

S -**خاتمة** بينت فيها الشروط الكفيلة بإقصاء النموذج الهابط واكتساب المثال الأسنى.

T -مصطلحات البحث:

اعتمدت جملة من المصطلحات أهمها:

- القدوة الصالحة: وأعني بها النموذج الصالح في حقيقة الأمر، أي ذلك الذي انسجم مع نواميس هذا الكون وسلك سبيل الفطرة السليمة وتسلح بوحي السماء في أمره كله.

- القدوة السيئة: وأعني بها النموذج الطالح في حقيقة الأمر، أي الذي لم ينسجم مع نواميس قوانين الوجود وناقض الفطرة البشرية وأعرض عن الوحي السماوي المنزل من عند الله تعالى.
- القدوة أعني بها الاتسام المعياري بصفات الفضيلة أو بسمات الرذيلة التي يعتبر وحي السماء المحفوظ وحده حكما فيها.
- التربية: أعني بها تنشئة ورعاية الفرد والمجتمع الإنساني برمته.
- النماذج والأمثلة: أعني بها الترجمة الحية لصفات وسمات القدوة.

المقتضيات والشروط: أعني بها شروط بناء القدوة الصالحة والنموذج الإيجابي ووسائل الابتعاد عن المثال السيئ والقدوة الهابطة.

الفصل الأول

- الأبعاد والمضامين
- مفهوم القدوة
- تاريخ النشأة أو البناء
- الإطار المرجعي
- سر الوجود أو حكمة الإيجاد
- الملامح والخصائص
- مكانة القدوة من أساليب التربية

الأبعاد والمضامين

تتداخل الأبعاد والمضامين التي تعنيها التربية بالقدوة وتتشابك، بحيث يصعب الفصل بينها بمعالم واضحة وحدود مرسومة، ذلك أنها تتبادل التأثير حيناً وتتوارد على المعنى الواحد بأساليب شتى أحياناً أخر، بيد أن عملية النشر والعرض تتطلب هذا التقسيم المنهجي الذي يأتي في مقدمته مفهوم التربية بالقدوة، فما هي حدود هذا المفهوم؟ وما هي دلالته اللغوية؟

أولاً: مفهوم التربية بالقدوة: إننا لكي نتصور العلاقة الدالة بين هذين المفردين لابد أن نستوضح حدود ودلالة كل منهما في بنائه المستقل ومعناه اللازم، إذ أن إدراك العلاقة بين شيء وآخر نتيجة متأخرة زمنياً وعقلياً عن تصور ذلك الشيء.

فمفهوم هذين اللفظين في سياق الإفراد والاستقلال خطوة عملية لبناء دلالتهما في النسق التركيبي والتجاور الإضافي، لذا كان من اللائق أن نعلم أن كلمة التربية بالرجوع إلى معالم اللغة العربية نجد لها أصولاً ثلاثة:

N- ربي يربى على وزن خفي يخفى ومعناها نشأ وترعرع قال ابن الأعرابي:

ومن يك سائلاً عني فإني بمكة منزلي وبها ربيت

O- ربَّهُ يربُّه بوزن مدّ يمدّ ومعناها أصلحه وتولى أمره وساسه وقام عليه ورعاه ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

ولأنت أحسن إذ برزت لنا يوم الخروج بساحة القصر

من درة بيضاء صافية مما تربب حائر البحرN)

وفي تاج العروس: "رب الفتى أحسن القيام عليه حتى أدرك القيام وفارق الطفولية كان أبناً له أو لم يكن"

P- ربا يربو بمعنى زاد ونما ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الروم: ٣٩ ، وقوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ الحج: ٥.

غير أننا لا نقع عليها في المعجم الفرنسي قبل سنة NROT مترجمة عن الأصل اللاتيني الـــذي كانت تدل فيه على الطعام وتربية النباتات والحيوانات وتهذيب البشر على حد سواء.

وهي بوصفها الإطار المرجعي لتنشئة الأجيال والأمم تعود من حيث الممارسة العملية إلى بداية الخلافة الإنسانية على هذه الأرض. أما المفهوم الاصطلاحي فلا نجـــد أثـــراً لاســـتخدامه في المراجع الأجنبية إلا في وقت متأخر نسبياً، ذلك أننا نجد المجمع العلمي الفرنسي سنةNWSQ ما يزال يجعل من التربية والتعليم شيئاً واحد، في حين ظهر هذا المفهوم مبكراً نسبياً في المراجع الإسلامية التي كانت تستعيض عنه بكلمات التعليم والتأديب والتهذيب أحياناً، ففي أنـــوار التنـــزيل وأسرار التأويل البيضاوي. (SURهـــ):

"الرب في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً"، وفي مفردات الراغب الأصفهاني (RMO هـــ): "الرب في الأصل التربية وهي إنشاء الشيء حالاً فحـــالاً إلى حـــد التمام"، وقد أوردها ابن خلدون في مقدمته أثناء كلامه على مراتب الملك والسلطان بمعـــنى التنشئة وهي تحديدات تحيلنا –كما يقول الأستاذ عبد الرحمن البائي- إلى المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها وتنمية مواهبه واستعداداته المتنوعة مع توجيه هذه الفطرة والمواهـــب نحـــو الصلاح والكمال اللائق بهما"(O)، وهذا يعني أن المفهوم الاصطلاحي للتربية أشمل من التعليم باعتبارها تعني تقويم السلوك وتهذيب الأخلاق وإصلاح ما اعوج من الميول والقوى الموروثة وتوجيهها وجهة سليمة وفقاً لما أراد المربي الحق (الله جل جلاله) خـــالق الفطـــرة وواهـــب المواهب، ومربي الأنفس تبعاً للسنن التي سنها لنموها وتدرجها وتفاعلها، ومـــنزل الشـــرع لتحقيق كمالها وصلاحها وسعادتها. أما التعليم فلا يعدو أن يكون وسيلة من وسائلها الـــتي تستمد من مصادر متعددة كالقدوة والمحاكاة في السلوك وتشرب عادات المجتمـــع تقاليـــده والتطبع بطابع الأسرة والرفاق. وقد تناولت مفهوم التربية عدة دراسات أجنبيـــة وإســـلامية بلورة وتحديداً وتعريفاً وأنشئت بمقتضاها المنظمات الدولية والإقليميـــة وتوالـــت المـــؤتمرات والندوات، فانتهى تعريفها للتربية بغض النظر عن المنحى الأيدلوجي إلى أن العمل التربـــوي: "عمل يقع على الآخرين، ومن أجل الآخرين وهو جملة من الأفعال والآثـــار الـــتي يحـــدثها الإنسان في جنسه، سعياً إلى خلق استعدادات وإكساب مهارات وإعطاء معلومات، تقابـــل

الغايات التي يعدلها المربي منذ نشأته والشكل الذي يراد له أن يأخذه من النـــواحي العقليـــة والأخلاقية والصحية والنفسية والوجدانية والجمالية الاجتماعية في ضـــوء المبـــادئ والمثـــل المرسومة من قبل حضارة ما"(P).

أما القدوة فإنها مشتقة من الاقتداء وهو الاتباع والاقتفاء والتسنن بسنن الآخر ومنـــه قولـــه تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الزخـــرف: ٢٣، وذكـــر الفيروزبادي في القاموس المحيط أنها مثلثة فقال: (القدوة مثلثة وكعدة ما تسننت به واقتـــديت به)(Q)، وهي في الاصطلاح: (وسيلة من وسائل التربية، غير أنها هي أفعل الوســـائل جميعـــاً وأقربها إلى النجاح وهي شرط أساسي لنجاح العملية التربوية أو فشلها تبعاً لنوعها (صالحة أو سيئة) سواء نظرنا إليها على مستوى التأصيل والانطلاق أو على مستوى الاستمرار والمواكبة، فكلما ارتفع المربي في سلّم الفضيلة والرفعة قاد الجيل في الطريق القويم، وكلمـــا هـــبط إلى دركات الرذيلة قاد في السبيل المعوج إذ الأخلاق قيمة معيارية تتفق الأمم في أمهاتها وتختلف في حقيقة دلالتها ومصدرها، فالمجتمعات الجاهلية تعتمد في تقديرها على الـــنظم الوضـــعية والعادات التقاليد والعقل، أما مجتمعات الوحي فإن كتاب الله فيها هو الذي يعين دوائر السمو من دوائر الحطة وتلك الأمور ينشأ عنها اختلاف في تحديد ورسم معالم القدوة غير أن نموذج الوحي الفاضل واضح المعالم وما عداه من النماذج يدور في فلك النماذج المنحطة فحســـب بعد النموذج من الإسلام يكون انحطاطه وبحسب قربه من الإسلام تكون رفعته)، مـــن هنـــا جاءت أهمية هذا المفهوم الذي يتناول جملة من المعاني يمكن حصرها ضمن النقاط التالية:

N- الضرورة التربوية: من بديهيات الإسلام أن يكون الناس مسلمين وأن يتربـــوا تربيـــة إسلامية، ومع بداهة هذه القضية فإنها تغيب عن أذهان كثير من المربين في العالم الإســـلامي تارة وتؤلف قضية مبهمة عائمة ضبابية في أذهان ثلة من المربية تارة أخرى، وأكثر ما تعنيـــه عند بعض آخر أن يكون الإنسان "متديناً" يقيم الشعائر ويمارس العبادات، دون أن يسيء إلى أحد، وهذا المفهوم هو أقرب المفاهيم إلى ما ترمي إليه التربية الإسلامية بـــالنظر إلى الواقـــع الفكري لرجال التربية في العالم الإسلامي، مع أنه يشي بعدوى النظرية العلمانية التي تكرسها

المناهج المستجلبة من الشرق أو الغرب(R). وهذه النظرة الجزئية المصابة بالعدوى العلمانية لا تهيئ لغير المزاولة الفردية للإسلام التي لا تستطيع التأثير في خط سير المجتمع ولا التحكم في واقعه المتعدد الجوانب والمتباين الأبعاد والمتشابك العلاقات، وهو ما يجلي أهمية القدوة الحية التي تترجم بأسلوبها وسلوكها كل الأسس والأساليب والأهداف القويمة، وتتجلى من خلالها خصائص الشمول والتكامل والدقة والعمق، إذ من السهل تأليف كتاب في التربية أو تخيل منهج تربوي وإن كان في حاجة إلى براعة وإحاطة وتوازن، أو رسم خطة محكمة لنمو الإنسان وتنظيم مواهبه واستفراغ طاقاته وتوظيف استعداداته وتنمية وتكوين جوانبه النفسية والاجتماعية والعقلية والجسدية والوجدانية والخلقية والجمالية(S).

غير أن ذلك كله يظل حبرا على ورق، يظل معلقا في الفضاء ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك على ظهر الأرض...، ما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه.

إن المربي–مثله مثل "الداعية"– قدوة خير أو شر، والطفل مدفوع إلى التشبث بأخلاق وطباع المربي، لذا كان لابد للمربي حتى لا يجني على الولد أن يستمسك بالخلق الرفيع وأن يشاهد فيه الأولاد العلوم والمعارف التي يقدمها واقعا حياً ومثالاً محسوساً، حتى يربي بذاته قبل أن يربي بعلمه، ففي المثل "فعل رجل واحد أسرع في قلب ألف رجل من قول ألف رجل في قلب رجل واحد"، فالتطبيق السليم اليسير لا يتأتى إلا بالقدوة التي تتخذ منها التربية طريقاً لتحقيق أهدافها وتضمن الانسجام بين النظرية والتطبيق، فيجد الطفل الوسيلة المثلى التي تقنعه بإمكانية تحويل المعارف إلى واقع معاش وترفع همته لقطع العقبات والصعوبات المختلفة، إذ بغير ذلك تنقلب التربية إلى تلقين لا أثر له على المتعلم، فيملأ الطفل فراغ الأسوة الحسنة بالنماذج والأمثلة المعروضة أمامه في الشارع والمدرسة والبيت، وتتحطم عليها المثل التي يدعو لها المعلم إذ تتحول تلك المثل والمعارف النظرية إلى دراسات أثرية لا علاقة لها بواقع الحياة.

2– الأسس النفسية: لقد فطر الله الخلق على البحث الغريزي عن الأسوة، وعلى الشعور الدائم بالحاجة إلى القدوة التي تشخص المثال وتنير الظلام وتجلي الهمم وتقتحم المجهول، وخصوصاً عندما يتعلق الأمر بالمواقف الغريبة غير المألوفة أو بمقاطع من الحياة تحتاج إلى بذل

وجد كبيرين، بل إلى التضحية بالنفس والمال أحيانا كالجهاد في سبيل الله والإنفاق والصبر على المصائب.... والاقتداء بالنماذج التي تغطي المجال الحيوي للإنسان وتقع تحت الأنظار في أشد الأوقات حرجا وأصعب المواقف الاجتماعية وأبهى المناظر في نفس الإنسان يترجم استعدادا أصيلا للمحاكاة وغريزة عميقة للتقليد في النفس الإنسانية، أودعها الله بحكمته البالغة مختلف النفوس البشرية وجعلها رغبة ملحة وشوقا حثيثا يدفع الطفل والضعيف والمرؤوس إلى مضاهاة سلوك الرجل والقوى والرئيس.

والتقليد ظاهرة تعم النوع الحيواني إلا أنها في الحيوان غريزة محضة تتجلى في انقياد القطيع بمختلف مكوناته للفحل أو القائد واتباع أثره، وترتقي هذه الحقيقة النفسية في الجنس البشري مع تفاوت في ذلك بتفاوت المجتمعات، بحكم ما يصاحبها من وعي للذات المقلدة وإدراك لخصائصها وتحيد للهدف المتوخى من ذلك، وهو بالعموم يقوم على ثلاثة أسس نفسية هي :

أ. **الرغبة في المحاكاة والاقتداء:** فالإنسان مدفوع بشوق لا شعوري إلى تقمص شخصية من يعجب به في لهجة الحديث وأسلوب الحركة ونوع المعاملة وطبيعة التصرف وجنس الخلق وعادات السلوك... ويتم ذلك كله بطريقة غير واعية يمتص فيها الطفل أو الراشد جميع نواحي شخصية القدوة أو جلها بما فيها من سيئات وحسنات، فبمقتضى تلك لا يتحمل القدوة جريرة فعله الشخصي فقط، بل إنه مسئول كذلك عما يقترفه مقلدوه من فضائل ورذائل، ومتابع عليه في عرف الناس وفي حكم العقل وفي قانون التربية الإسلامية، يقول تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١ ﴾ الأحزاب: ٣٠ - ٣١، ويقول ﷺ: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن يقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء" رواه مسلم (7).

ب . الاستعداد للتقليد: وهو أساس نفسي يوجد من حيث الأصل في جميع مراحل العمر، غير أن كل مرحلة تختص باستعدادات وطاقات نوعية محددة تتحكم في طبيعة الفعل المقلد إذ ليس بمقدور كل إنسان وفي كل طور من أطواره أن يقلد جميع الهيئات والمواقف...، إلا أن استعداد الإنسان للتقليد في عمومه يقوى ويضعف تبعاً للظروف التي تمر به، ففي ظروف الضائقات الاجتماعية والأزمات النفسية والكوارث الطبيعية تشتد حاجة الناس إلى القدوة التي تحل المشكلة الاجتماعية، وتعلو على الأزمات النفسية وتصمد أمام الكوارث الطبيعية، ويشتد بالتالي انقيادهم لها وتشبثهم بذيلها وتقمصهم لمواقفها واعتناؤهم بآرائها وأفكارها...

ويقوي الاستعداد ويضعف كذلك تبعا لموقعه ممن يتعامل معهم، فيشتد تقليد المغلوب للغالب والمرؤوس للرئيس والطفل لأبيه، وهو ما أوضحه ابن خلون في مقدمته وساق له من الأدلة والوقائع التاريخية ما فيه الكفاية، وهو ما يترجمه واقع الأمة الإسلامية مصداقا لحديث رسول الله ﷺ: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه"(8)، وبديهي أ ن هذا النوع من التقليد الناشئ عن شعور بالضعف أمام القوي قد يجني على الأفراد والأمم جناية عظمى إن كان من باب التقليد الأعمى للغالب دون القدرة على انتقاء جوانب الخير فيه والابتعاد عن جوانب الشر.

ج . الهدف من التقليد أو الاقتداء: قد يعي الشخص الهدف من تقليده وقد لا يعيه، غير أن الهدف الحيوي الغامض من غريزة التقليد في الأصل هدف دفاعي، فالانضواء في ظل القوي استمداداً لقوته وبأسه وتمظهراً بهيئته وسيلة للدفاع عن الكيان الفردي بطريقة تلقائية في المبدأ، إلا أن هدف التقليد يتضح أكثر كلما ارتقينا في سلم الوعي إلى أن يأتي الوقت الذي يصبح فيه التقليد عملية فكرية يمزج المقلد فيها بين الوعي بالذات والانتماء للآخر وبين محاكاة الأفعال والاعتزاز بالخصائص الذاتية، فيتم التقليد على بصيرة ويحصل الاتباع عن وعي، وهو ما تدعو إليه التربية الإسلامية، يقول تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ الأنعام: ٩٠.

3- الأشكال التربوية لنقل أثر القدوة: إن القدوة التربوية مطالبة بالضرب على مختلف

أوتار التأثير وبذل الجهد اللازم تأصيلا لطباع الخير حتى يمارسها القدوة في غيابه وحضوره الذهني في حالة العفو والقصد، ويمارسها تطبعا بها واستصحابا لها في شتى المواقف التربوية حتى لا يجني على الجيل المربى، إذ أن أثر القدوة ينتقل في حالتي:

أ . **العفو أو عن غير وعي**: وهو التأثير غير المقصود الذي ينشأ عن إعجاب التلميذ بالمربي أو الولد بالأب أو المرؤوس بالرئيس أو أي شخص بآخر، بحيث يتأثر بالمسموع والمرئي منه دون أن يبذل المقلد أي جهد في إيصال هذا الأثر إلى المتعلم، بل إن هذا الأثر يحصل تلقائيا وبشكل يشبه الجذب المغناطيسي أو التنويم، ومن لوازم ذلك أن يحذر المربي أشد الحذر من أن يصدر عنه أي فعل أو قول لا يليق، ومن لوازمه كذلك أن ينشأ الجيل صورة طبق الأصل من المدرسين، سواء كانوا منحلين ماجنين منحرفين أو مستقيمين ملتزمين.

ب . **القصد أو عن وعي**: وهو التأثير المقصود الذي يرمي المعلم إلى إحداثه في التلاميذ من خلال الأفعال النموذجية والصفات الحميدة التي يتعمد لفت انتباه التلاميذ إليها كالقراءة النموذجية، والتقدم أمام الصفوف في الجهاد لتعليم الأداء الجيد، وبث روح الشجاعة والتضحية في نفوس الجند، وهذا الشكل من القدوة المقصودة الهادف إلى إحداث أثر بعينه في شخص من الأشخاص دعت إليه التربية الإسلامية وترجمه منهج رسول الله ﷺ التربوي يقول ﷺ: "أيها الناس إني صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي" البخاري(9)، ويقول ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي"(10)

ثانياً: تاريخ النشأة أوالبناء: إن العلوم البشرية والمعارف الكونية لا يبدعها الإنسان ويبتكرها، وإنما يكتشفها ويزيل الحجاب بينه وبينها، فتتجلى على حقيقتها جملة من قوانين الله تعالى وسننه تحكم مختلف الظواهر العلمية في أبعادها الطبيعية والإنسانية، بيد أن اكتشاف هذه القوانين يأتي دائما متأخراً عن ورود الظاهرة لأنه حصيلة لتتبع وملاحقة الظاهرة أيا كانت في مختلف أطوارها وأثناء تكرارها بمعنى أن قواعد وضوابط أية ظاهرة علمية هي جزء من حقيقة الظاهرة نفسها ينشأ بالتزامن معها ولكنه لا يعقل إلا متأخراً عنها عبر الدراية الكاملة لخصائصها ومميزاتها(11)، ومن هنا يمكن أن نطمئن إلى أن هذا الموضوع يعود إلى ظهور الإنسان على هذه الكرة الأرضية، فأول قدوة للشر عرفها الثقلان (الإنس والجن) هي

إبليس اللعين الذي كان نموذجا حيا وما يزال للتكبر والفساد والضلال، وأول قدوة للخير هي آدم صلاة الله وسلامه عليه الذي كان نموذج الخلق العظيم والعلم النافع، غير أن تناول هـذا المفهوم بالدراسات والتقنين ظهر متأخرا عن هذه الفترة بكثير، ذلك أن أول ذكر لهذا المعـنى ورد في الكتب السماوية المترلة على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ثم تتناوله بعد ذلـك الفلسفات المثالية والمادية والوثنية بإشارات غير صريحة أحيانا وهكذا فقد ظل هذا المفهوم بين مد وجزر، تملؤه الجاهلية أحيانا بأساطيرها واعتقاداتها الوثنية أو تخميناتها الفلسفية، وتترجمـه إلى واقع الحياة بسلوكها المنحرف ومنهجها المعوج، ويملؤه الوحي أحيانا أخرى بهديه الكامل وخلقه الرفيع، ويترجمه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وأتباعهم إلى واقع نظيف راشـد مستقيم فريد إلى أن جاء الإسلام فاستقرت دلالات ومعاني هذا المفهوم (القدوة)، وتحـددت سماته ومعالمه في واقع الحياة على يد محمد ﷺ قـال تعـالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الأحـزاب: ٢١. وصحابته الذين تربوا على يده رضوان الله عليهم، وقد تصدر هذا المفهوم جملة مفاهيم التربية خلال مسيرتها التاريخية وأطوارهـا المتلاحقـة الـتي يمكـن اختصارها في:

- طور البناء: وهو طور كانت فيه التربية الإسلامية خالصة من كل الشوائب تعتمـد الكتاب والمسجد والمكتبة والقدوة العلمية والأخلاقية، ويمتد هذا الطور من ظهـور الإسلام إلى سقوط الدولة الأموية.
- طور العصر الذهبي: وهو طور نضجت فيه الآراء التربوية وأنشئت المدارس ودخلت العلوم العقلية، غير أن القدوة ظلت محور العملية التربوية.
- طور التشعب والانحسار: وهو طور شاع فيه التأليف لغرض التعليم و لم تتوسع فيـه المؤسسات التعليمية كثيراً، وجمد الفكر الإسلامي إلى حد ما وبدأ التأثير الغربي يدخل رويداً رويداً، إلا أن المفهوم الصحيح للقدوة والسمات الحية والمواصفات الشاملة لها ظلت محل اتفاق بين المربين والمتعلمين عموما(12).

- طور الاقتباس والتبعية: وهو طور اقتبست فيه النظم التعليمية الغربية واعتنت فيه التربية بالعلوم العقلية وتغلغلت الثقافة الغربية في الأبعاد المختلفة للعملية التربوية، وحاولت الحكومات تطوير مؤسسات التربية الإسلامية الأصيلة، واضطرب مفهوم القدوة، واختلفت المقاييس والمعايير، وترجمت القدوة إلى واقع الحياة من خلال نموذجين متباينين بل ومتناقضين أحياناً: نموذج يستوحي مبادئه ومفاهيمه وأخلاقياته عن وعي أو غير وعي من الثقافة الأوروبية المادية والحضارة الإغريقية الوثنية، ونموذج متمسك بمفاهيم التربية الإسلامية مستوح مبادئه وأخلاقياته من كتاب هذه الأمة وسنة رسولها ﷺ وسيرة سلفها الصالح مع تفاوت في درجات هذا التمسك أو ذاك وهي ثنائية خطيرة في مجالي النظرية والتطبيق يتربى عليها الجيل منذ سقوط الخلافة الإسلامية إلى الآن، حصدت ثمرتها التربية في مختلف بلادنا الإسلامية.

ثالثاً: الإطار المرجعي للقدوة: إن الإطار المرجعي للقدوة يختلف من حضارة لأخرى ومن أمة لأمة، فللحضارات الوثنية معيارها المستمد من الأساطير والخرافات والذي يقيس كمال الشخصية ومثاليتها بمقدار العجائب والغرائب والطلاسم التي تنسب إليها، فالنموذج المحبب في المجتمعات الوثنية شخص يتجاوز المألوف ويتمرس بالغريب في أبعاد حياته، ويعد بالمستحيل في مجمل تصرفاته ويمتطي المبهم في كل حركاته، فينشأ الجيل بحكم هذه التربية وبمقتضى هذه القدوات والنماذج على الخوف من الطبيعة، والتعلق بالمجهول والتسلي بالأماني والإجلال للشعوذة والسلبية في العمل، والاضطراب في السلوك والحيرة في الفكر.. وفي الفلسفات المادية المثالية التي عرفتها الحضارات القديمة الإغريقية والآشورية والفرعونية تتضارب الآراء التربوية في تحديد معالم ومواصفات القدوة، وتتباين النماذج العملية للقدوة في حياة الناس، مع سيادة وتكريس النظرة التجزئية والواقع الطبقي، حتى على مستوى التنظير والفكر، فلكل طبقة مجال محدود يجب أن تظل محصورة فيه، وأن تقطع النظر عن غيره حتى في مجال القدوة، فينشأ الجيل أجزاء من شخصيات لا تصلح للحياة مجتمعة وإنما يصلح كل فرد فيه لجزء تافه فيها، دون ضبط للدرجة والمقدار، فتسود المجتمع كيانات مهزوزة ولو كانت عضلاتها مفتولة لأداء أعمال الحرث، ونفوس

حائرة ولو كانت عقولها مدربة في مجال الاستنباط، وأخلاقيات لا يجمعها خيط ولو كانت تستمد كلها من الرغبات والأعراف والتقاليد...، أما في الفكر الإسلامي والتربية الإسلامية فإن القدوة واضحة المعالم بينة الصفات مضبوطة الجوانب متكاملة الأبعاد جلية الخصائص في كتاب الله تعالى، يقول جلّ من قائل: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ العصر: ١ - ٣، ويقول تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ۝١٧٧ ﴾ البقرة: ١٧٧. فهذه الآيات ترسم معالم الشخصية الإسلامية الكاملة التي تشق طريقها قدوة للخير والصلاح في حياة الناس تعميراً للأرض ونشراً للعدل وإرساء للأخوة وبناء للتعاون وبثا للمحبة والإحسان وتوفيراً للأمن ودفعاً للشرور والنكبات وتفريجاً للضيق والكرب والشدة.

ولم يكتف القرآن الكريم بتبيان قدوة الخير هذا البيان الكاشف الدقيق بل تجاوز ذلك إلى الكشف عن قدوة الشر تحذيراً منها وحسماً للخلاف بشأنها في حياة الناس قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۝٥٨ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ۝٥٩ ﴾ مريم: ٥٨ - ٥٩، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ

بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٩.

وهذا البيان بشتى تفاصيله ودقائقه لقدوتي الخير والشر ولا تخلو منه سورة من سور القرآن العظيم، وقد بينته سنة المصطفى ﷺ وأفاضت فيه في أكثر من حديث، يقول ﷺ: "مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير.." الحديث(13)، وترجمته إلى واقع ملموس حياة المصطفى ﷺ يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١.

فالقدوة في التربية الإسلامية يحكمها إطار من الكتاب المعجز والسنة الخالدة والسير الزكية، بدءاً برسول الله ﷺ وانتهاء بالصالحين من هذه الأمة، والتربية في وقتنا الراهن يقاس نجاحها بقدر احتكامها إلى هذا الإطار واستمدادها منه فكلما استحصنت التربية بهذا الإطار الخالد المعجز وغرفت من مائه الزلال استطاعت أن تنقذ جيلاً وتبني قدوة فذة، ولكما ابتعدت عنه واستبدلته بغيره من النظريات الوضعية حديثة كانت أو قديمة اختلت في مزاجها وعجزت عن بناء غير القدوات الفاسدة.

رابعاً: سر الوجود أو حكمة الإيجاد: إن وراء أي خلق من خلق الله أو أي فعل حكمة ربانية بالغة، قد يعلمها الإنسان كلها أو جلها وقد تغيب عنه أو يغيب بعضها لكنها تظل قائمة في واقع الأمر في جميع الحالات، وإيجاد ظاهرة الاقتداء ليس بدعاً من هذا الوجود كله، فمن ورائه حكم بالغة وأسرار عجيبة من أبرزها:

1- أنه ناموس من نواميس الكون: التي أودعها الله تعالى في هذا الوجود فظاهرة الولاء أو التبعية أو الانتساب أو التلازم أو الاقتداء ظاهرة تعم هذا الوجود كله من مجرته إلى ذرته، في أحيائه وجماداته أي أن المخلوقات يدور بعضها في فلك الآخر حين يمتاز هذا الأخير بخاصتي الاصطفاء والقوة، بحيث يكون الأقوى مركزاً للدوران ومحوراً للحركة وبؤرة تتجمع حولها مخلوقات أخرى، وقوة لأسر الأضعف وربطه ومنعه من التفلت والاختيار، وهو ما عليه بناء هذا الكون الفسيح، فقد تقرر عند علماء الفلك والأرصاد

أن الكون يتألف من لبنات بعضها فوق بعض وتحته وعن يمينه ويساره ووراءه وأمامه بتكرر لا ينتهي في الجهات الست، وأن اللبنة الواحدة تتكون من نجمة ضخمة قوية تكون بؤرة أو مركزاً تتجمع حولها نجوم كثيرة أضعف منها عل شكل مجرة، أطلقوا على هذه المجموعة اسم العنقود "النجمي"، وتقل كثافة النجوم المتجمعة كلما بعدت عن المركز حتى يكون نوع فراغ ثم تتلوه عناقيد مماثلة أخرى من جميع الجهات...، وكل مجموعة من العناقيد النجمية تتجمع بدورها حول عنقود منها يكون أقوى من الأخريات ويعتبر مركزاً لها...، أما الذرة أصغر وحدة في هذا الوجود فإنها مخلوقة وفق السنة نفسها، وقد أكد ذلك علماء الكيمياء في الثمانينات من القرن العشرين فأبسط أنواع الخلق هو غاز الهيدروجين الذي تتكون نواته من بروتون واحد يأسر له جسيماً سالباً يسمى الإلكترون يدور حوله مرتبطاً به، فإذا صار في النواة بروتونان اثنان فإننا أصبحنا أمام عنصر الهليوم الذي تأسر نواته إلكترونين.

وهكذا خلق الله جميع العناصر من غازات وفلزات ومعادن كلما ازدادت النواة بروتوناً نتج عنصر جديد يختلف في خواصه، ودارت إلكترونات حول النواة مساوية لعدد البروتونات، ويسمى في نواة ذرة كل عنصر بالعدد الذري، وقد ميز العلماء العدد الذري لكل العناصر ورتبوه ترتيباً تصاعدياً بمقتضاه نجد أن الكربون مثلاً عدده الذري "6" والأكسجين "8" والألمنيوم "13" والكالسيوم "20" والحديد "26" والنحاس "29" والزنك "30" والفضة "47" واليود "53" والذهب "79" والزئبق "80"...

وهكذا نجد أن الكون بمختلف مكوناته نسيج متماثل وهندسة منتظمة وولاء وانقياد واقتداء..

إن صورة الذرة واللبنة الكونية تظهر بجلاء أن القدوة حقيقة حيوية راسخة تتجلى في العلاقات البشرية وتقوم عليها التربية كما تتجلى في الكون الميت ويقوم عليها البناء وتلك حقيقة يشهد بها تاريخ الإنسانية ويجليها تطور العلوم في العصر الراهن(14).

2- أنه رحمة للعباد وتيسير على خلق الله: فلولا المثال والنموذج لما استطاع البشر أن يترجموا بعض المعاني والمفاهيم، فالتاريخ وربما الحاضر شاهد على فشل فلاسفة ورواد

تربية تخيلوا مناهج وخططوا لمدن فاضلة بقيت في نطاق الخيال والتصور العقلي دون أن تتحول إلى واقع معاش(15) ولولا القدوة لما استطاعوا أن يقتحموا كثيراً من المخاوف ولا أن يتجاوزا كثيراً من المألوفات، من هنا كانت منّة الله على عباده عظيمة حين ابتعث فيهم القدوة الصالحة الكاملة قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٤، التي تترجم دستور الحياة إلى أن يرث الله الأرض من عليها والتي شكلت النموذج المحسوس الذي نسجت النماذج المصطفاة على منواله كل بحسب طاقته وظروفه وخصائصه الذاتية...

3- إقامة الحجة على البشرية وقطع للطريق أمام الذين يتذرعون بأن التكاليف الإلهية قد تتجاوز طوق البشر، فمحمد ﷺ القدوة الأولى الكاملة بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ الفرقان: ٧، وصحابته بشر تربوا على يديه، والقرون المزكاة نماذج استمدت من المعين نفسه حتى لا يكون للناس على الله حجة ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ النساء: ١٦٥، ويغدو الاقتداء بالنماذج الصالحة ميسوراً والطريق إليه معبداً.

خامساً: مقومات القدوة أو ملامحها وخصائصها: إن للقدوة الصالحة ملامح وخصائص كلما تجمعت وتمركزت اقتربت القدوة من الكمال، وكلما ضعفت وقلت نزل النموذج واقترب من الهبوط، فالاتسام المعياري بالفضائل هو عنوان القدوة الصالحة أو المثال الأسمى، في مقابل الاتسام القياسي بالرذائل الذي هو عنوان القدوة السيئة أو المثال الهابط، ونحن بتمثلنا لأي من خصائص هذين الطرفين نكون قد تجردنا بالفعل من الخاصية المقابلة لهذا الطرف الآخر، فاتصاف الإنسان بالعلم ينفي عنه الجهل حتماً واتسامه بالبخل ينفي

عنه الكرم بالضرورة، لذا فإننا سنتناول خصائص أو مقومات القدوة الصالحة أو المثال الأسمى بالنص مكتفين بمفهوم المخالفة بالنسبة للمثال الهابط ضمن النقاط التالية:

1- أن يكون الهدف والسلوك والتفكير ربانياً: قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ آل عمران: ٧٩، حتى يرى التلاميذ آثار عظمة الله تعالى في كل ما يدرسون فيخضعون إجلالاً لعظمة الواحد القهار عبر ملاحظة سنن الحياة وقوانين الطبيعة ونواميس الكون.

2- أن يكون مخلصاً في قصده التربوي وكسبه المعرفي ومعاملته بالحسنى قاصداً في كل ذلك وجه الله تعالى، مبتغياً مرضاته بحيث لا يصبح عمله بدافع أو بتحريك من سلطة المجتمع وجزاء الحكومة بل بدافع من إيمان عميق يتفيأ ظلال السعادة والطمأنينة في الجدّ والإخلاص والمثالية والنشاط والتضحية والبذل، فبانتفاء الإخلاص يسود التحاسد والتعصب للرأي والغرور والأثرة بين المعلمين.

فينبغي للمربي أن يخلص العمل لله تعالى في كل أمر تربوي يقوم به، كان أمراً أو نهياً نصحاً أو ملاحظة أو عقوبة...، فالإخلاص في القول والعمل أساس البناء التربوي السليم، وشرط لقبول الأعمال عند الله تعالى وحصول ثمرتها في الحياة الدنيا، قال رسول الله ﷺ: "إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه" أبو داود والنسائي(16)، فحتى يكون المربي قدوة صالحة مؤثرة محبوبة لابد أن يخلص العمل لله تعالى في كل مستوياته.

3- أن يكون على نصيب وافر من المعرفة بالعلوم الشرعية وبأصول التربية الإسلامية وبالعلم الذي يدرسه، إذ تعليم العلم وتبسيطه لا يتأتى إلا بعد هضمه وغربلته وفهمه، فالمربي الجاهل يجلب على الولد التعقيد النفسي والانحراف الخلقي والضعف الاجتماعي، فالبون في ميزان التربية الإسلامية شاسع بين العلم والجهل ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الزمر: ٩، وفاقد الشيء لا يعطيه قال الشاعر:

لا تأخذ العلم إلا عن جهابذة بالعلم تحيا وبالأرواح تفديه

أما ذوو الجهل فارغب عن مجالسهم قد ضل من كانت العميان تهديه

فبالسيطرة على المادة والتمكن من الموضوع يستطيع المربي تقديم البرنامج المناسب في مادته وأسلوبه ووسائل عرضه وتقييمه وفقاً لمنازع الأطفال الفطرية وحاجاتهم النفسية واتجاهاتهم العقلية وطبيعتهم التكوينية.

4- أن يكون حليماً صابراً على معاناة التعليم وتيسير الصعاب وتبسيط المعارف ومراجعة القاصرين ومراقبة مؤشرات التطور في معرفة السلوك، فبالاتزان والحلم والصبر ينجذب التلميذ نحو معلمه ويستجيب لأقواله ويهتدي على يديه لذا كانت هذه السمة مطلباً أساسياً من مطالب التربية الإسلامية قال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ الشورى: ٤٣، وقال ﷺ لأشج بن عبد قيس: "إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة" رواه مسلم(17).

5- أن يكون قادراً على الضبط والسيطرة دون تفريط أو إفراط، حازماً من غير قسوة يضع الأمور في نصابها يقيس بالمقياس المناسب ويكيل بالميزان القويم، يشتد إن دعت لذلك ضرورة ويلين إن عنت لذلك أسباب، يعرف تماماً من أين يبدأ وكيف يسير وإلى أين ينتهي، متسلحاً بالرفق، قال ﷺ: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يترع من شيء إلا شانه" رواه مسلم(18)، ومستعيناً باستكناه نفسيات الأطفال، وسبر أغوار شخصياتهم، يطلع على مختلف جوانب التكوين الاجتماعي والبيولوجي والانفعالي لديهم، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (خاطبوا الناس بما يفهمون أتحبون أن يكذّب الله ورسوله) رواه البخاري(19).

6- أن يكون عادلاً ومستشعراً مسؤوليته أمام الله تعالى عن الجيل المربى بحيث لا تستهويه أي فئة على حساب الأخرى، ولا يركن لأي طالب إلا في حدود ما يستحقه وفقاً لعمله ومواهبه، دون أن يؤثر ذلك على حقوق الآخرين يقول تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ ﴾ المائدة: ٨، ويقول ﷺ: "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم"(20)، والمربي بمنزلة الأب الحكيم الحنون البصير في تربيته، ومسؤوليته عن الولد كبيرة جداً، فهو متابع على تربيته إيمانياً وسلوكياً وعلى تكوينه جسمياً ونفسياً وإعداده عقلياً

وخلقياً واجتماعياً، وحين يتساهل في هذا الأمر فإن الطفل يهبط في دركات الفساد بلمع البرق يقول أحمد شوقي:

وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة جاءت على يده البصائر حولى

والمربي يتحمل تبعة تفريطه بنص حديث المصطفى ﷺ: "إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع" ابن حبان(21).

7- أن يكون واعياً للمؤثرات والاتجاهات العالمية، والمكايد الصليبية، والمخططات اليهودية، والماسونية والغزو الاستعماري، والسم الشيوعي وما يتركه كل ذلك من أثر عميق على العقيدة والفكر والسلوك... يعالج المشكلات ويتغلب على الصعاب بحكمة وروية وبصيرة، ويتصدى للاستلاب الحضاري والمسخ الثقافي بالفهم الواعي والثقافة الإسلامية المستوعبة والبدائل الإسلامية الميسرة الفذة.

8- أن يتعرف على شخصيته ومن ثم صفاته المزاجية وقدراته الخاصة حتى يتجاوز ويسيطر على حيل عدم التوافق بمظاهرها الدفاعية والهروبية والكبتية والدفاعية الهروبية(22)، ليضمن شخصية سوية خالية من الأمراض النفسية، ما دام يقدم كيانه بكل مقتضياته إلى الطفل، فيجب إذاً أن يكون صادقاً في تعليمه، يشهد فعله لقوله، فإن مخالفة الفعل للقول دليل على أن المعلم لا يؤمن بما يقول ولا يعبأ بما يدرس، فمن أين لطلابه أن ينتفعوا بعلمه ويأتمروا بأوامره؟

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ ﴾ الصف: ٢ - ٣.

فالشرط اللازم للمربي أن يكون قدوة في ما يقول، أسوة فيما يفعل، مجتهداً يأتي النادر الطريف، ومبدعاً مبتكراً والإبداع وصف يستعصي على الحد لا يوافق له غير الذكي، بعضه تجديد على غير مثال وبعضه تمرد على المألوفات والمسلمات المتوهمة، إذا اتضح تخلفها واضطراب منطقها، وبعضه اشتقاق وقياس أو عودة إلى أصل مهجور، وبعضه اقتحام في موضع التقوقع ووفاء في ساعة النكوص وفصاحة إذا رطنت الألسن وكرم إذا اشتد البخل واختبأت الأيدي وسمو إذا نطق الإغراء وذبل إذا سفل التعامل وستر إذا استرسلت الفضائح

وفناء في الله إذا قدست الذوات..(23) تلك لعمري صفات القدوة الصالحة وسمات الأسوة الحسنة.

أما القدوة السيئة فتتشكل كلما اقتربنا من نقيض هذه الخصائص والصفات، بحيث يكون الهدف والتفكير والسلوك جاهلياً، ويكون القصد التربوي والكسب المعرفي رياء، ويكون العلم نفعياً مادياً ويكون الصبر والحلم والاحتمال خداعاً، وتكون السيطرة والضبط إفراطاً أو تفريطاً، ويكون العدل قضية مزدوجة المعيار، ويكون الكيد والمكر والخيانة إسهاماً في ازدهار الأمة، ولا يكون التعرف على الولد سبيلاً إلى إنقاذه بل ربما أدى إلى بواره.

سادساً: مكانة القدوة من أساليب التربية: إن التربية الإسلامية تربي بأساليب شتى، وتضرب على أوتار النفس البشرية كلها بنسب محسوبة ومقدار دقيق وتوازن فذ وتوزيع موزون لحاجات الخطوط المتقابلة في النفس البشرية من خوف ورجاء وحب وكره وواقع وخيال وحسية ومعنوية وشهادة وغيب وفردية وجماعية والتزام وتطوع وسلبية وإيجابية، مستخدمة في ذلك أنماطاً من الوسائل وأنواعاً من الآثار كأثر القدوة الصالحة والموعظة البالغة والعقوبة الملائمة والقصة المؤثرة والعادة الخيرة والتفريغ الصحيح للطاقة النفسية والملء الرشيد للفراغ والعرض الواعي للحدث والمثل البليغ والترغيب المشوق والترهيب المنفر والحوار الجذاب والممارسة المتبصرة... غير أن نجاح هذه الأساليب والوسائل كلها مشروط ببيانها وتيسيرها وترجمتها من خلال القدوة ففي كل أسلوب يستعين به المربي يجب أن يكون قدوة، فإذا كان محاوراً فإن عليه أن يعرض الموضوع عرضاً حيوياً يوقظ العواطف والانفعالات ويغري السامع بالمتابعة ويصف الواقع البشري ويبعد عن الملل والسآمة، سواء كان الحوار خطابياً تعبدياً أو وصفياً تصويرياً قصصياً سردياً أو جدلياً للأخذ والرد.. وإذا كان يقص فإن عليه أن يراعي في القصة تشد الانتباه وتوقظ الإحساس وتدخل إلى أغوار النفس وتثير العواطف الربانية وتبعث على الإقناع الفكري وتؤدي البيان المطلوب، بأسلوب بسيط وجاذبية آسرة ووضوح كاشف وتفصيل مستوعب، مراوحاً بين القصة التاريخية والقصة الواقعية، مراعياً سمو الهدف ونظافة الوسيلة ونقاء الكلمات... وإذا كان يضرب الأمثال فإن عليه أن يسوق المعنى بيسر ويثير الانفعالات الكامنة برشاد ويمنح العقل أداة التفكير الصحيح والقياس السليم ببراعة ويستجيش

الإرادة بجد... وإذا ربى بالممارسة فإن عليه أن يربي بأسلوب عملي تأسيساً وتكراراً، وينمي الشعور بالمسؤولية، وينمي التواضع وحب العمل ويبعد الغرور والكسل والتواكل...(24) وإذا ربي بالموعظة والعبرة فإن عليه أن يغرس الاعتبار بالقصص والحوادث وأن يقود إلى اكتشاف السنن والقوانين، وإلى تدبر خلق الله تعالى وتأمل حكمته واستخراج الموازين الربانية والاحتكام إليها، وإلى تقبل النصح والإرشاد بياناً للحق وتمكيناً من المصلحة، ثم إلى الاستفادة من التذكير بجوانب الضعف وسيرة الإنسان كالمرض والموت ويوم الحساب... وإذا رغّب أو رهّب فإن عليه أن يبني أسس الاقتناع ومبادئ البرهان، وأن يصحب هذا الأسلوب تصوير فني وأداء أدبي رائع وبأسلوب واضح مفهوم، وأن ينمي عاطفة الخوف من الله تعالى ونازع الخشوع والمحبة فيه وهواجس الرجاء له والطمع فيه... وإذا ربى بالعادة درج في اقتلاع سيئها، ونمى الوعي المصاحب لاكتساب خيرها، حتى لا تتحول إلى فعل آلي لا معنى له ولا روح... وإذا ربى بالعقوبة تدرج في المعاقبة من الأخف إلى الأشد، من التعريض إلى التصريح، من اللين إلى الشدة، من الملاطفة إلى الضرب، ومن الإشارة إلى التوبيخ... وإذا ربى بتفريغ الطاقة أفرغها في عمل إنشائي إيجابي بناء وتعميراً وخيراً ورشاداً كتفريغ الطاقة الحيوية في الجهاد والزرع وتفريغ طاقة الكره في كره الشيطان وأتباعه وتفريغ طاقة الحب في حب الله ورسوله والمؤمنين... وإذا ربى بالأحداث ربط القلوب في كل حادثة بالله تعالى ولم يترك حادثة تمر بلا عبرة مستفادة ولا أثر في النفس ينطبع ويبقى... وهكذا دواليك في كل وسيلة من وسائل التربية.

غير أن بناء النموذج السيئ –وعلى الرغم من أهمية القدوة فيه– لا يشترط هذه الشروط ولا يقف عند هذه المعايير بل على العكس من ذلك إنه يعطي مساحة شاسعة للهوى والرغبة والشهوة ويحتكم إلى الأعراف والتقاليد والنظم الوضعية، ومن هنا يتعدد ويتلون تبعاً لطبيعة النزعة ونوع النظام وشكل العادة أو التقاليد...(25).

وإذا كنا علمنا تاريخ القدوة وكشفنا عن مفهومها وحددنا إطارها المرجعي وبينا سر وجودها وفصلنا ملامحها وألمحنا إلى مكانتها من وسائل التربية، فما هي الأدلة والشواهد على أهميتها في البناء التربوي؟ وما هي المقتضيات والشروط اللازمة لوجودها في واقع الحياة؟

هوامش الفصل الأول

1- حائر البحر: مجتمع البحر.

2- التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية/ د. محمد منير مرسي/ عالم الكتب – القاهرة/ ط1/ 1982/ ص40، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن الخلاوي/ دار الفكر –دمشق/ ط1/ 1979/ ص15.

3- التربية العامة/ ربي أوبير ترجمة د. عبد الله عبد الدائم/ دار العلم للملايين –بيروت/ ط4/ 1973/ ص22.

4- القاموس المحيط/ الفيروزبادي/ مؤسسة الرسالة/ ط1/ 1986/ ص: 1706.

5- مناهج التربية الإسلامية/ محمد قطب/ دار الشروق -بيروت/ ط8/ 1983/ ج1/ ص180.

6- أصول التربية الإسلامية وأساليبها/ مرجع سبق ذكره/ ص229.

7- رياض الصالحين/ الإمام النووي/ دار التراث –بيروت/ ط10/ 1989/ ص93.

8- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم/ محمد حبيب الله ولد مايابى الجكني/ دار الفكر/ ط1/ 1981/ ص381.

9- صفة صلاة النبي ﷺ/ محمد ناصر الدين الألباني/ المكتب الإسلامي/ ط9/ ص72.

10- صفة صلاة النبي ﷺ/ مرجع سبق ذكره/ ص72.

11- حركة التجويد في موريتانيا من خلال مباحث الضاد والجيم والهاء/ محمد ولد حامد (الدناه)/ بحث لنيل شهادة المتريز/ في العلوم الشرعية والعربية/ المعهد العالي للدراسات والبحوث والإسلامية/ السنة الدراسية 92- 93/ ص4.

12- التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية/ م.س.ذ/ ص172.

13- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم/ م.س.ذ/ ج2/ ص177.

14- صناعة الحياة/ محمد أحمد الراشد/ دار المنطلق –الإمارات/ ط2/ 1992/ ص51.

15- منهج القرآن في تربية المجتمع/ عبد الفتاح عاشور/ مكتبة الخانجي -مصر/ ط1/ 1979/ ص237.

16- جمهرة الأولياء وأعلام التصوف/ أبو الفيض المنـــوفي الحســـيني/ دار الفكـــر/ ط1/ 1967/ ج1/ ص256.
17- تربية الأولاد في الإسلام/ عبد الله علوان/ دار الســـلام –بـــيروت/ ط1/ 1984/ ج2/ ص788.
18- جمهرة الأولياء وأعلام التصوف/ م.س.ذ/ ص257.
19- فتح الباري على صحيح البخاري/ ابن حجر العسقلاني/ مؤسسة مناهـــل العرفـــان/ ص245.
20- فقه السنة/ السيد سابق/ دار الفكر/ ط5/ 1992/ م1/ ص492.
21- منهاج المسلم/ أبو بكر الجزائـــري/ دار الكتـــب الســـلفية –القـــاهرة/ 1987/ ص381.
22- السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين/ فوزي سالم عفيفي/ دار الصحافة للتراث بطنطا/ ط1/ 1991/ ص65.
23- صناعة الحياة/ م.س.ذ/ ص37.
24- مناهج التربية الإسلامية/ م.س.ذ/ ص273.
25- رائد التربية وأصول التدريس/ عبد الحميد فايد/ دار الكتاب اللبناني/ ط4/ 1981/ ص175.

الفصل الثاني

الشروط والأدلة أو المقتضيات والشواهد

- القرآن الكريم
- السنة المطهرة
- الحكم والأشعار
- الدراسات
- قواعد بناء القدوة الصالحة
- معوقات بناء القدوة الصالحة
- معيار القدوة الصالحة

الشروط والأدلة أو المقتضيات والشواهد

إن الشواهد الدالة والبراهين الكاشفة على أن القدوة الصالحة خير وسيلة وأعمق أداة في بناء النماذج المستقيمة والأمثلة السامية، وعلى أن القدوة السيئة أخطر وسيلة لهدم الكيان البشري وتخريج النماذج الهابطة والنفوس المنحرفة متوافرة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ, وفي كلام الحكماء وشعر الشعراء ودراسة الدارسين, الشيء الذي يستلزم بالضرورة البحث عن الشروط والمقتضيات التي ترشح الإنسان للقدوة الصالحة أو تهوي به إلى درك النموذج الهابط, فما هي تلك الأدلة تبعا لقوتها والوثوق بها؟ وما هي هذه المقتضيات في جانبي الصعود والهبوط؟

أولاً: الأدلة والشواهد: إن ترتيب هذه الشواهد وفقا لقوتها وإقناعها مسألة غير مستعصية ذلك أن كتاب الله بشهادة أعدائه أوثق كتاب عرفته البشرية. وسنة المصطفى ﷺ لا يجادل حتى أعداء الإسلام في أنها الدرجة الثانية بعده, وعلى هذا تتحد الصدارة في تناول هذه الشواهد وتتجلى نقطة البداية في ضروب الأدلة فنقول:

N. القرآن الكريم: إن الأدلة والشواهد من القرآن الكريم على أهمية القدوة وخطورتها تستعصي على الحصر, فالقاعدة التي تجليها آيات بينات عديدة هي أن للقدوة أثرها العميق صالحة كانت أو طالحة, عبر العدوى الاجتماعية والتقليد للغالب والانبهار بالقوي وقطع أوهام عدم إمكانية التطبيق واستسهال الصعب وفهم النظري وتقريب البعيد واستحكام الطبع وتكوين العادة ورسوخ السلوك واختزال المسافة وتهييج الغيرة المحمودة وبعث المنافسة الشريفة وإرساء التقدير المحفز وتكوين المحبة الدافعة وخلق الاستحسان والإعجاب الجاذبين, فقد ضرب القرآن مثلا للمؤمن والكافر باعتبارهما نموذجين قياسيين للخير والشر, فالإيمان الصحيح لازمه القدوة الصالحة في أعلى مستوياتها, والكفر الصريح لازمه القدوة الطالحة في أحط دركاتها قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ

ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٤ – ٢٦.

فالكلمة الطيبة أو الأسوة الحسنة قوية في نشأتها ومستقيمة عالية على الشهوات في أخلاقها وفكرها والأسوة السيئة هشة في نشأتها متلونة في سلوكها ومتحيرة في أفكارها(N).

والآيات في تقرير أهمية القدوة وتمييز السيئ من النافع منها, وفي التوجيه إلى خيرها والتحذير من شرها والكشف عن عاقبتها كثير نذكر منها:

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفرقان: ٢٧ – ٢٩، ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٦٧ .

فنتيجة القدوة السيئة ومآل صاحبها إلى الندم ولات حين ندم. فسلطان القدوة وعمق تأثيرها وامتلاكها للكيان والمشاعر وجذبها للحركة والفكر.. أعمت المقتدي وأغفلته عن نفسه فلم ينتبه إلا حين كشف عنه الغطاء فشاهد الأمور تجري في نصابها الصحيح.

قال تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِىۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ المائدة: ٣١، فالقدوة أداة تعليم بالغة ووسيلة مهمة للإجابة عن الأسئلة المطروحة والمشاكل العالقة, فيها يهتدي وبها يتغلب على الصعاب في المواقف المختلفة قال تعالى: ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ فصلت: ٢٥, فالقرين لابد أن يترك أثره العميق في مجال القدوة وأن يزين بسلوكه وفعاله ضروبا من الأخلاق تردي قرينه إن

لم تكن صفات قويمة تهديه طريق الرشاد, قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزخرف: ٢٣, ففي القدوة يبرز سلطان الغلبة وجاذبية التبعية وتتم الأمور أحيانا بصورة تلقائية تتحكم فيها العادة ولا تخضع للعقل مما يشي بخطورة القدوة وأثرها الفعال في مجال بناء الأخلاق وتشكيل النفوس, قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١، ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ الممتحنة: ٤, فالقدوة ترجمة حية لجوانب شتى ومعاني عديدة بشكل سهل وواضح وهي تحريك لكوامن القوى الإنسانية نحو هدف معلوم ونشاط محدد, وهي عدوى تسري في كل كيان الجسم فيقوم بتكاليف جمة في يسر وبساطة وهي قائد بصير يقي الإنسان مزالق الطرق.

قال تعالى: ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ البقرة: ١٣٧, فالمقتدي يصير إلى حيث المقتدى به أحيانا ويشبهه ويضاهيه ويقترب من مترلته أحيانا أخرى بحكم عمق التأثير وامتلاك المشاعر والرغبة في المحاكاة والتقليد والاعتزاز بالرفقة والمشاكلة.(O)

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الأنعام: ٩٠, ولأهمية القدوة وأثرها البالغ في التربية حض عليها القرآن الكريم, وأمر بها وجلى مالها من فعل سحري في تشكيل النفوس وبناء الأخلاق والاتسام بأمهات الفضائل وترجمة الفكر والشعور والتصور إلى واقع حقيقي. قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ آل عمران: ٣١. وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ آل عمران: ٦٨. فالاقتداء والاتباع شرط أصيل في وجود

القواسم المشتركة سلوكية ونفسية, وعلى أساسه يتم التمايز والتصنيف, وفي ضوئه ينسج الولاء وتحاك المحبة وتأتلف القلوب.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوسف: ١٠٨. فالقدوة مشاركة في الصفات العامة والمزايا الخاصة في كل الاتجاهات والأبعاد أفقياً وعمودياً كليات وجزئيات بحكم الباعث القوى والربط الشديد والتلازم الكبير والتركيز الخطير والأولوية المطلقة. وهكذا فالآيات القرآنية التي ترسم قدوة الخير ونماذج الشر بمعالم واضحة وصفات جلية وتحديدات دقيقة وتعيينات بالغة وتدعو إلى الأخذ بمثال الخير والسير وفق خطواته والالتزام بمنهجه والتنكيب عن مثال الشر والاحتياط في توقي الوقوع في مزالقه أكثر من أن تحصى في دراسة كهذه فغايتنا هي إبراز الدور العظيم للقدوة من خلال بعض الآيات الدالة على ذلك .

O. **الحديث الشريف**: طبيعي أن يكون فيه البرهان الكاشف والوصف المجلي لأثر القوة في تربية النفس الإنسانية باعتباره بياناً وتفصيلاً لكتاب الله, غير أننا هنا لسنا في باب الإحاطة والحصر وعليه فإننا سنكتفي بضرب أمثلة في معالجته للقدوة وبيانه لأهمية الأسوة مثل:

– قوله ﷺ: "مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة"(P)، ففي هذا الحديث وصف جلي لنموذجي الخير والشر وتحديد دقيق لمعالم القدوة الحسنة وسمات النموذج السيئ فكلاهما حتمي التأثير وعميق الأثر, غير أنهما خطان متقابلان, يهوى بالإنسان أحدهما إلى دركات السلبية, في مقابل ارتفاع الآخر وعلوه بالإنسان إلى منازل الايجابية, يقود النموذج الهابط إلى عدم الاستقرار والضياع والفساد والحيرة, فهو إما أن يهلك بالكلية أو يورد موارد الهلاك في حين أن النموذج الأسمى أو القدوة الصالحة تبوئ منازل الأخيار أو تقود لزوما إلى طريقهم، فالمثل الحسن مسك شذي يقتني أو تشم رائحته والمثال الوضيع نار تلتهم الكيان أو تكدر الصفو بدخانها.

– قوله ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"(Q)، فالقدوة بغض النظر عن صنفها لها الغلبة والسلطان تحيل بتأثيرها الجماد حياة والكلام حركة والشعور واقعا, وتسوق بقوتها وقهرها قوى الإنسان في اتجاه النموذج فأثرها لا يقهر وظلالها لا تتخلف فهي تسير وفق قانون ثابت مؤداه أن الإنسان يتشكل بصورة متناسبة طرديا مع درجة التأسي وجاذبية القدوة.

– قوله ﷺ: "لتتبعن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه, قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن ؟".(R)

وفي الحديث إعجاز نبوي هو الإخبار بالمستقبل الذي تحقق بالفعل بموجب قانون القدوة حيث اتخذ المسلمون من اليهود والنصارى أي من أمة الغرب قدوة ونموذجا في التفكير والسلوك حين غلبت وتجبرت وانبهر المسلمون بتقدمها المادي, وهو مؤشر خطير من مؤشرات سيادة القدوة السيئة ذلك أن القدوة الحسنة لا وجود لها إن لم توجد في ديار المسلمين و لم تتشكل وفق منهج الله تعالى.

– قوله ﷺ: "من سن سنة حسنة فله أجرها وأجرمن عمل بها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا".(S)

فالقدوة أثرها متعد وتبعيتها مستمرة فبمقتضاها تتشكل أمة بأسرها وبسببها ينحرف جيل بأكمله ذلك أن لها من الاستمرارية والقوة ما ليس لوسيلة من وسائل التربية الأخرى بحكم تشخيصها للمعاني واستيفائها لأبعاد القضايا التي تعرض من خلالها فهي تعبير حي في العرض, دقيق في الوصف, شامل في التناول, ومن هنا ركز حديث المصطفى ﷺ على أخذ المسلمين بها إن كانت صالحة وتنفيرهم منها إن كانت طالحة.

P. الحكماء والمربون والشعراء: لقد كشفت التجربة والمعايشة والمراس لهذه الزمرة أهمية القدوة وخطورة النموذج، ففي وصية أفلاطون في تأديب الأحداث يجلي هذه القضية ويبرز هذا المعنى ويؤكد هذه الحقيقة بقوله: (كونوا لهؤلاء التلاميذ مرآة صافية مضيئة وامتنعوا عن الشهوات المذمومة وأفعال الخطايا ولا تقربوا شيئا يلحقكم منه عذل ولا تكونوا سببا لعادة

مذمومة يجترئ عليكم بها تلاميذكم, فمن قصر في هذه القضايا ليكن منحى مبعداً عن هـــذا التعليم).(T)

وقال أحد الخلفاء لمعلم أولاده: (ليكن اصلاحك بني اصلاحك لنفسك فإن عيوبهم معقودة بعيبك والحسن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت).(U)

وقال ابن عبد البر: (إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا).(V)

وقال أحد المربين: (إن أكثر الناس مقلدون ينظرون إلى حال القائل, والمحقق الذي لا ينظر إلى حال القائل بل يقصر النظر على ما قاله نادر, فلتكن عناية المعلم بتزكية أعماله, أكثـــر مـــن عنايته بتحسين علمه ونشره).(NM)

وقال آخر: (إذا خالف فعل المعلم قوله ينعكس التأثير الذي توخاه, فيســـخر منـــه ويتـــهم ويحرص على المنهي عنه فينقلب النهي إغراء وتحريضا).(NN)

وقال أحد الشعراء :

أيـــها العـــالم إيـــاك الزلل	واحذر الهفوة فالخطب جلل
هـــوة العـــالم مستعظـــمة	إن هفا أصبح في الخلق مثل
وعـــلى زلـــته عمـــدتهم	فبها يحتج من أخـــطا وزل
فهو ملح الأرض ما يصلحه	إن بدا فيه فســـاد أو خلل

وقال آخر :

يا أيها الرجـــل المعـــلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعلـــيم
لا تنه عن خـــلق وتأتي مثـــله	عار عليك إذا فعـــلت عظيم
وابدأ بنفسك فانهـــها عن غيها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك تقبل إن وعظت ويقدى	بالقول منـــك وينفع التعليم

وقال شوقي :

وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة جاءت على يده البصائر حولى

وقال آخر:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

فهذه الأقوال والآراء شهادة الأجيال وحصيلة التجربة عبر الزمان الطويل والمكان الفسيح بأن أثر القدوة ودور الأسوة عالية كانت أو هابطة لا تقف في سبيله الخطب ولا يعترضه التلقين ولا يصده التصوير الفني ولا البيان العلمي إنه أقوى من هذه الوسائل والأساليب جميعا في مجال بناء الشخصية وتأسيس الكيان النفسي وتشكيل الصورة الخلقية .

Q- الدراسات التربوية: لقد أثبتت الدراسات التربوية أن أمل الطفل في الإصلاح والفساد يتناسب طرديا مع طبيعة القدوة, فقدرة الطفل على الالتقاط الواعي وغير الواعي كبيرة جداً, وهو لا يدرك كل ما يراه لكنه يتأثر به كله, فجهاز الالتقاط وجهاز المحاكاة شديدا الحساسية في نفسه, فهو يلتقط ويقلد كل ما يراه ويسمعه بوعي كامل أو بغير وعي وعبر ذلك يتعلم الكلام وهو ما يثبت نوعاً من الوعي يكفي لتعلم معاني الأصوات والمفردات والجمل، وهذا لا يعني أنه يدرك ما يدركه الكبار من معنى القيم والمبادئ ولكنه بفضل جهازي المحاكاة والالتقاط بوعي أو بغير وعي يقوم بتشكيل خطوط كبيرة ورئيسية في البناء النفسي, تنشأ عنها في نفسه قاعدة تبني عليها تلك القواعد في المستقبل, فإذا كانت القدوة حسنة تشكلت القاعدة سوية مستقيمة متزنة وإذا كانت القدوة سيئة شكلت القاعدة مضطربة معوجة, ولا يؤمل بعدها أن تكون القيم والمبادئ سليمة فإحساس الطفل بالاضطهاد والظلم من أبويه يوثر في بنائه النفسي ويدمر هذه القادة برمتها, وإذا كان الطفل يتمثل هذه المبادئ والقيم ويلتقطها بالقدوة من أبويه بشكل متناسب مع زيادة الوعي فإن مرة واحدة من القدوة السيئة تكفي لاتسامه بالخلق السيئ, فمرة واحدة يكذب أبوه أو أمه كافية لتدمير قيمة الصدق في نفسه ولو كررت عليه المواعظ والتوصيات والنصائح بالصدق, ومرة واحدة يغش أحدهما الآخر أو

يغشان الناس في قول أو فعل كافية لتدمير قيمة الاستقامة في نفسه ولو انهالت على سمعه التعليمات....(NO)، وهكذا في كل القيم والمبادئ التي تقوم عليها الحياة الإنسانية واستنطاق التربية عبر العصور المختلفة واستكناهها في الوقت الراهن في أي قطر من الأقطار يكشف بجلاء ويجلي بوضوح خطورة القدوة وأثرها البالغ في بناء الأجيال, وهو ما أكدته الدراسات الإسلامية والغربية على حد السواء.

وإذا كانت القدوة على هذا القدر من الثقل في ميزان التربية, فما هي شروط بناها؟ وما هي مقتضات تشكيلها؟

ثانيا: الشروط والمقتضيات: إن تأسيس المثال الاسمي وبناء القدوة الصالحة أمر لا يتم بالاتفاق ولا يحصل بالعشوائية بل إنه خاضع لسنة من سنن الله لا تتبدل وجار وفق قانون اجتماعي مطرد إنشاء توجيهاً وتطويراً أي أننا لابد أن نسلك في بناء الشخصية مساراً محدداً يوازن بين الروح والجسم والعقل, ويجمع فيها السمات والملامح بنسب مضبوطة وبمقاييس دقيقة، تضمن سلامة النمو وكمال النضج واتزان الشخصية واستقامة السلوك, فما هو هذا المسار؟ أو ما هي القواعد الأساسية التي تشكل لبنات لبناء هذا المسار؟

N. **قواعد بناء القدوة الصالحة:** إنه لبناء القدوة الصالحة لابد أن تحكم الولد في تربيته رعاية وتوجيهاً جملة من الضوابط والروابط نختصرها في مجالين اثنين هما:

أ. **مجال الحياة العامة:** إن الولد إذا ارتبط وهو في سن الوعي والتمييز بروابط اعتقادية صحيحة وروابط روحية حية, وروابط فكرية عميقة وروابط تاريخية نقية وروابط اجتماعية موزونة وروابط رياضية هادفة... رافقته في سن الشباب وفاء إلى ظلها في سن الرشد... سيملك من قوة الإيمان وبرد اليقين وسلاح التقوى ودماثة الخلق ورجاحة العقل... ما يرشحه للقدوة الصالحة المستعلية على الجاهلية ونماذجها الهابطة, فكيف يتم بناء هذه الروابط؟

إن بناء هذه الروابط وتأسيس هذه العلاقات والأنساق من خلال تربية شاملة تضع في الحسبان:

– **الربط العقدي**: فالطفل يجب أن يربط منذ نعومة أظافره بالإيمان الصحيح وبكل ما ثبت يقينا عن طريق الخبر الصادق من اعتقاد وغيب, فنغرس في الولد حقيقة الإيمان بالله عز وجل وبالملائكة والكتب والرسل والقضاء والقدر وسؤال القبر وعذابه ومشاهد القيامة من بعث وحساب وجنة ونار..., حتى يمتلئ قلبه وتصوره بهذه المعالم الإيمانية, فينشأ على مراقبة الله وخشيته والتسليم له والتزام منهجه في كل شأن من شؤون الحياة... فيكون القدوة الصالحة في مجال العقيدة والإيمان.

– **الربط الروحي**: وهو تزكية النفس وتنقيتها وتطهيرها حتى تصفو وتشرق وتتفجر بالإيمان والإخلاص عبر ربط الولد بالصلاة وبالذكر فريضة وسنة ونفلا مطلقا قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٥, والإنفاق في أوجه الخير ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ النور: ٣٧، وبالصوم ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ البقرة: ١٨٤, وببيوت الله ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ التوبة: ١٨, علاوة على الاستشعار الدائم لمراقبة الله له ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ ﴾ آل عمران: ٥, فبهذه الوسائل والأسباب تتخلى النفس عن الرذائل وتتحلى بالفضائل فتصير قدوة في مجال الطاعة وأسوة في سبيل التزكية.

– **الربط الفكري**: ويعني أن يربط الطفل بمفاهيم الإسلام وبنظامه دينا ودولة وبالخطاب القرآني دستورا وتشريعا وبالعلوم الشرعية منهجا وأحكاما وبالتاريخ الإسلامي روحا وقدوة وبالثقافة الإسلامية مدنية وحضارة(13), وبمنهجيه الدعوة الإسلامية اندفاعا وحماسا عبر تبيان حقيقة أن الإسلام خالد وصالح لكل زمان ومكان وأنه سر عزة وغلبة وقوة للمسلمين الأوائل دون أن تغفل الكشف عن مخططات أعداء الإسلام وعن أسباب تقهقر الأمة وتمزقها وتخلفها وأن تجلي باطمئنان أن المستقبل لهذا الدين وأن الغلبة والعزة

والنصر أمور تتناسب طرديا مع تمسكنا بهذا الدين منهجا وسلوكا عقيدة وشريعة, فبقدر ما نملك من لبنات صالحة أو نماذج مثالية يكون تفوقنا في معركة الحياة, من هنا جاءت أهمية بناء القدوة الفكرية الصالحة(M14)

– **الربط الاجتماعي**: ويتم عبر غرس الأصول النفسية النبيلة ومراعاة حقوق الآخرين والالتزام بالآداب الاجتماعية العامة, والقدرة عل المراقبة والنقد الاجتماعي من خلال ربط الولد ببيئة اجتماعية نظيفة صالحة, تزكي النفس وتطهر القلب وتقوي الإيمان ثم تكسبه علما نافعا لعقله وخلقا فاضلا لسلوكه وسلامة صحيحة لجسمه ووعيا إسلاميا لفكره وجهاداً صادقاً لدعوته وإشراقا ربانيا لروحه, واندفاعا إيمانيا لدينه (M14) فما هي أركان هذه البيئة؟ إن هذه البيئة الراشدة تقوم على ثلاثة أبعاد لا بد أن يرتبط بها لولد هي:

N– العالم المرشد المخلص الصالح المستوعب لمقتضات دينه الشاهد على عصره الذي يستعصي عليه إن لم نقل يستحيل أن يكتم علماً أو يسكت عن حق أو يتغاضى عن منكر أن يتساهل في واجب أو يحرف الكلم عن بعض مواضعه أو يخشى أحداً من الناس أو يحابي أحداً من ذوي السلطان والجاه... يوازن في تربيته بين إصلاح النفس وتعليم العلم وتهذيب الخلق والدعوة إلى الله.

O– الصحبة الصالحة وهي من الوسائل البالغة في تكوين شخصية الولد, لذا ينبغي أن تراعى في البيت والحي والمدرسة والمسجد, فالرفاق والقرناء يتركون بصماتهم الواضحة وءاثارهم العميقة في الجوانب النفسية والروحية والفكرية والخلقية فيتشكل الإنسان وفقاً لرؤاهم وتصوراتهم وتبعاً لأخلاقهم وأنماط سلوكهم عبر التقمص والتقليد عن وعي أو عن غير وعي بمقتضى قانون العدوى الاجتماعية, فالسبيل إذن هي البحث عن صلحاء الأصدقاء ثم علاج ما أفسده رفاق السوء بالحكمة اللازمة والسرعة المناسبة بالتوقيع على وتري الترغيب والترهيب عبر الكناية والمثل والقصة(M15)

P– الدعوة حتى ننمي في الولد روح الدعوة إلى الله والجرأة في الحق والتخلق بالصبر وغيرها من المعاني الدعوية والصفات الزكية التي تؤهله للانطلاق تبليغا لدين الله عز وجل, لا تأخذه في الله لومة لائم ولا ترده عن المضي في طريقه عراقيل الحياة, وذلك عبر

التهيئة النفسية: بتصوير الواقع المؤلم للعالم الإسلامي بما فيه من صراع في المبادئ والأفكار وتفكك في السياسة والاجتماع وتحلل من الأخلاق والقيم ومؤامرات صليبية وصهيونية وشيوعية واستعمارية ويأس وقنوط ومذلة... عبر ضرب المثل الذي يزيل اليأس والقنوط ويحقق التفاؤل, ويدفع إلى العمل والتضحية والثبات... وعبر إظهار فضيلة الدعوة وتقدم الدعاة على الناس شرفاً ومنزلة وأجراً وأثراً نافعاً وفوزاً ونجاحاً وأخلاقاً... وعبر بيان الأصول المتبعة في تبليغ الدعوة من علم وامتثال وتدريج في التغيير ولطف ورفق وصبر على الأذى... وعبر ربطه بداعية مخلص مجرب بصير بمنافع المسلمين(16)

– **الربط الرياضي**: وهو وسيلة لتربية الولد جسيما وسلامته صحياً, عبر ملئ الفراغ المتيسر له وتزويده بآليات الوقاية من الأمراض وتعويده منذ صباه تمارين النشاط المنوع وأعمال الجهاد والصبر قال ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.." رواه مسلم(17) ولذا شرح رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾ الأنفال: ٦٠, بقوله: "ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي" رواه مسلم(18), وقد كتب عمر رضي الله عنه إلى ولاته: "أما بعد فعلموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل..." الحاكم (19).

فالعناية بالإعداد الجسمي والتكوين الجهادي والتربية الرياضية مطلب أساسي في تنشئة الأطفال غير أن ذلك لا يعطي ثماره المرجوة إلا إذا جاء وفق المنهج الإسلامي في التربية البدنية وهو منهج يراعي:

1- إيجاد التوازن في صرف الوقت حتى لا يطغى الجانب الرياضي على الجوانب الأخرى فيفرط في اللعب بكرة القدم أو المصارعة أو مزاولة أعمال السباحة أو التدريب على الرماية... على حساب حق الله في العبادة أو حق النفس في تحصيل العلم أو حق الأبوين في البرور أو حق إسلامه في التبليغ والدعوة... فالارتباط الرياضي لابد أن يحكم بالوسط والاعتدال والتوازن.

2- مراعاة حدود الله: في اللباس الرياضي "مابين السرة والركبة عورة" أصحاب السنن وأحمد (20) وفي أماكن الرياضة بحيث تخلو من الشبه والريب, قالت عائشة رضي الله عنها: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم"(21), وفي التشجيع على الرياضة فلا يكون برهان محرم: "لا سبق (لارهان) إلا في خف أو حافر أو نصل (سهم)"(22), وفي تحويل هذا النشاط إلى طاعة خالصة لله تعالى بمقتضى النية والاحتساب, وبهذه الشروط يتشكل الولد قدوة رياضية صالحة تغنم وتفيد.

إنه وفق هذا لمنهج وفي ضوء هذه المقتضيات يخرج الطفل من مدرسة الحياة قدوة صالحه, فكيف يخرج من المدرسة النظامية نموذجاً مثالياً؟

ب- مجال الحياة المدرسية: إن وظيفة المدرسة المعاصرة هي تحقيق التربية بأسسها المختلفة وفقا لمعايير التبسيط والتلخيص والتصفية والتطهير وتوسيع الأفق وزيادة الخبرة... وهي وظيفة معتبرة من الناحية النظرية إلا أنها إن لم تتحد أسسها وتتجلى معانيها وتتبلور أفكارها وفقا للرؤية الإسلامية فإنها لن تنشئ جيلاً صالحاً أو قدوة حسنى بل إنها قد تتحول إلى أداة هدم لا بناء, فالأسس لابد أن تكون شاملة للعقيدة والشريعة, للفكر والخلق, وللعبادة والتزكية, للموهبة والفطرة, فتصان الفطرة من الرذائل والانحراف وتنمي الموهبة في ضوء المقاييس الربانية والتبسيط والتلخيص اللذان يهدفان إلى تسهيل التعامل مع الجو الحضاري العالمي دون دهشة أو ارتباك أو خوف أو ارتياب أو غرور وإعجاب أوترف أو استهتار... بحيث نختزل العلوم الكونية والمعلومات الجغرافية والمسائل الحسابية... في قوانين أو دساتير أو مبادئ عامة... خاصيتان أصليتان في التربية الإسلامية, غير أنهما محكومتان بميزان الاعتدال والشمول, ومدفوعتان ببواعث العقيدة وسلامة الاختيار(23), ووظيفة التصفية والتطهير تعطي وجهتها الصحية ومقدارها النافع في التربية الإسلامية, فتقديم العقيدة والعلم إلى الناشئين لابد أن يخضع لتصفية الحقائق وتنقيتها من الشوائب والأخطاء والمبالغات والأكاذيب حتى نضمن جسما سليما وعقلا قويما ومعرفة صحيحة... ولابد من الإطار الإسلامي والميزان الرباني, حتى تؤدي وظائف توسيع الأفق وزيادة الخبرة وتنسيق الجهود وتكميل مهام المنزل دورها اللائق دون إفراط أو تفريط, دون شطط أو

بخل(24)، غير أن هذه الوظائف برمتها لا يمكن أن تجد النور إلا إذا ترجمت من خلال منهاج دقيق يرسم أهداف التدريس ويحدد أساليبه ويعين مراحله ويكشف عن موضوعاته حسب السنة والمرحلة سواء كان في شكله البنائي, منهج مواد منفصلة أو منهج مواد مترابطة أو منهاجاً محورياً أو منهاجاً للنشاط العام على أن يكون موافقا لفطرة الله, ومحققا لهدف التربية ومتناسبا في تدرجه ومستواه ومفاهيمه مع مرحلة النمو وجنس الطفل ومهمة المدرس وحاجة المجتمع وإمكانيات البلد, سليما من التعارض, مرناً فعّالاً, شاملا للعقيدة والخلق والجهاد والدعوة والشعائر والعبادات والآداب والقيم, بحيث يعالج الطفل معالجة شاملة لا تترك منه شيئاً ولا تغفل عن جانب من جوانب شخصيته بدنياً كان أو عقلياً أعاطفيّاً أو سلوكياً أو جمالياً أو انفعالياً أو اجتماعياً أو نفسياً, باعتبار هذه الجوانب محكومة بسلسلة متماسكة ومتداخلة ومتكاملة ومتتابعة من التغيرات تنتهي بإكمال النضج عبر الارتقاء كماً وكيفاً من مرحلة الجنين إلى مرحلة الرشد, مما يستدعي مراعاة الخصائص النفسية والاجتماعية والانفعالية والعقلية لكل مرحلة من المراحل النمو, بحيث يوازن المنهج بين جسم الطفل وروحه وعقله, بين حياته المادية برمتها وحياته المعنوية بمختلف شعبها, بين كل نشاطاته على الأرض تبعا لتركيبه الأصيل ونسجه الخاص, فيتناول هذه الأبعاد كلها كأنه متفرغ لكل منها بنفس الدقة التي يتناولها بها مجتمعة وفي وقت واحد, حتى لا يكون هناك نشاز بين الجزء وكلياته, وحتى يعطى كل جانب من الطفل غذاءه بالقدر المضبوط الذي لا يجيعه ولا يتخمه, فيخرج الطفل وقد أخذ من التربية الصالحة حظه وبالمقادير الصالحة مما سيضمن نشاطه وإنتاجه وحركيته على الدوام وبالتالي بناء شخصيته بشكل متكامل وسوي(QR)... وهذا كله يستوجب ألا يكون المنهج مفرطاً في الدقة والكمال، إن عليه أن يرسم الخطوط العامة وألا يلجأ إلى التعداد المفصل الدقيق على الأقل في المستويات الدنيا من التعليم، غير أنه ينبغي أن يتسم بسمات التكامل والشمول والتوازن والاعتدال والإيجابية السوية والواقعية المثالية ضارباً على أوتار الخطوط المتقابلة في النفس البشرية من خوف ورجاء وحب وكره وواقع وخيال وحسية ومعنوية وشهادة وغيب وفردية وجماعية والتزام وتطوع وسلبية وإيجابية، بحيث ننفض المخاوف الزائفة ونوقع على النغمة

الأصلية نغمة الخوف من الله ونستبدل الرجاء الكاذب والأمل الزائف بالأمل في الله وفي ما أنعم به من قيم صحيحة، ونفرغ طاقة الكره في الشيطان وأتباعه باعتباره جماع الشر كله، ونوجه طاقة الحب ليأخذ مسار النصيحة والتوجيه والحب لله ولرسوله وللكون والكائنات الحية وجنسه من بني آدم وإخوته في الله خاصة، ونعطي طاقة الواقع عملها الواقعي في نطاق الحياة، ونفسح للخيال في تصور الكمال والجمال في العالم الآخر عالم الحق والخلود، فيرتبط الواقع والخيال بالله ويعملان لإصلاح النفوس والحياة، ونعطي الطاقة الحسية غذاءها من لذائذ الحس كالطعام والشراب والملبس والمسكن والجنس والمتاع الحلال.... ما دام في الدائرة المباحة المأمونة النظيفة، ونفتح للطاقة المعنوية مجال العقيدة على شمولها واتساعها لتتغذى بالإيمان بالله وبتصور الكون والحياة وفق ذلك الإيمان، ونفتح عالم الشهادة أو الحواس على الكون المادي من محسوسات العين والأذن والشم والذوق واللمس ونفتح عالم الغيب أو الروح على الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والجن، ونعطي الفردية غذاءها من خلال ربط القلب البشري بالله وتحرير الولاء له والإحساس بالمسؤوليات الفردية والترعة الجماعية الإيجابية(OS)، فتتأسس في رحاب الحب في الله ويغذيها الخطاب الجماعي والتوجيهات الجماعية، ونعطي طاقة الالتزام غذاءها من خلال الأوامر والنواهي والتعليمات والتنظيمات على أن يكون ذلك التزاماً لله وحده، فنرفع عن النفس صورة الالتزام الظاهري، فيتحول إلى رغبة ذاتية ابتغاء مرضاة الله ويرفع عنها الالتزام كلية بفتح باب التطوع الخالص ونعطي طاقة السلبية غذاءها في الخضوع والسلبية الكاملة إزاء الله تعالى، وتستمد الإيجابية غذاءها من الإيجابية الكاملة إزاء قوى الكون كلها، على أن نراعي في بناء المنهج مع ذلك كله أثر القدوة الصالحة والموعظة البالغة والعقوبة الملائمة والقصة المؤثرة والعادة المكسبة والتفريغ الصحيح للطاقات النفسية والملء الرشيد للفراغ والعرض الواعي للحدث...

وبرنامج التعليم الأساسي في موريتانيا يأخذ بحظ وافر من هذه المقتضيات، غير أن ذلك الجانب النظري فيه لا يجد من السند التطبيقي ما يترجمه إلى واقع حي، وهي عقبة كأداء تحول دون تحقيق التعليم الموريتاني للشخصية الإسلامية أو القدوة الصالحة أو المواطن الصالح باعتباره الغاية الكبرى التي يحددها التعليم في موريتانيا(OT) وذلك بسبب القصور في التطبيق المناسب

والكامل والشامل للبرنامج تعليماً وإشرافاً، تدريساً وتأطيراً، علاوة عن العجز النسبي عن صياغة البرامج والأهداف في ضوء الإمكانات المادية والخصوصية الحضارية والظرف الطبيعي والحالة الاجتماعية والمدى الزمني ومستوى الاستيعاب ونوعية التأطير، وهو ما أدى إلى حصول انفصام بين البرنامج في صورته النظرية وبين تجلياته وسريانه في الواقع المدرسي. والحياة المدرسية لا تنشأ عنها شخصيات سوية ونفوس صالحة ونماذج مثالية إلا إذا اكتملت فيها الخصائص والشروط والمقتضيات التي أشرنا إلينا بنسب عالية، فما هي معوقات ذلك؟ وما هي مجالات تجليها؟

O.**معوقات بناء القدوة الصالحة:** إن بناء القدوة الصالحة تحول دون تحقيقه في الحياة العامة وفي الحياة المدرسية جملة من العقبات والمعوقات والمزالق يتفاوت أثرها السلبي تبعاً لارتباطاتها ودرجة تملكها للواقع وقابليتها للاستمرار وبعدها عن التحول والتفكك، الأمر الذي يقتضي تناول هذه المثبطات على مستويين هما:

أ.معوقات بناء القدوة في الحياة العامة: إن معوقات القدوة في مجال الحياة العامة كثيرة أذكر منها:

N.التربية الشهوانية المادية التي أخضع لها الإنسان في ربوع العالم، ففقد الفكر حريته واستعبدته المنفعة المادية، وغدت المعرفة ذريعة للمصلحة، وأصبحت العقيدة تابعة للإرادة وكرس البحث العلمي لتسويغ ذلك وتبريره، وهو ما يستلزم تعويد العقل على كيفية الخضوع لمقتضى الرغبة.

O. انتعاش النزعة الإلحادية بسبب غياب حصن الحقيقة عندما أخضع العقل البشري للغريزة ولواعجها، واكتسحت العالم الإسلامي موجة ردة خطيرة، توسلت شعارات القومية الجاهلية(OU) والوطنية(OV) والإنسانية، وهو شعار الماسونية اليهودية، فأعطت الشعور بالولاء والمحبة والحاكمية والطاعة لغير الله، فشاع الامتعاض من بعض تكاليف الإسلام(PM) والاستهزاء(PN) ببعض شعائر الدين وتحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم(PO) والإيمان ببعض الكتاب دون بعض(PP) والاقتصار على الإيمان بالقرآن الكريم وجحود السنة النبوية(PQ) والاستهزاء بأفعال الرسول ﷺ وادعاء باطنية القرآن الكريم في أحكامه ومعانيه(PR)،

وشكلت هذه الانحرافات والارتدادات الخطيرة في مجال التصور الإسلامي قاعدة خلقية للإلحاد والاستهتار بكل الفضائل والقيم المنسوبة إلى وحي السماء حين أصبح الإلحاد نظاماً قائماً بذاته تتبناه دول وشعوب وأصبح له عملاء وقيادات في كل بلد يروجون له عبر التلبيس بإدعاء أن المبادئ الماركسية لا تتنافى مع عدالة الإسلام الاجتماعية، أو أن الدين شيء والمذاهب السياسية والاقتصادية شيء آخر، أو أن الإسلام دعا إلى الاشتراكية بتسويته بين الغني والفقير وإلغائه الملكية الجماعية، أو بواسطة بث سموم الإلحاد من خلال استغلال بعض النظريات كنظرية "دارون" المكذوبة ونظرية "افرويد" المزعومة(PS).

P- تحول الدراسات الاجتماعية والتاريخية والتربوية بمقتضى التربية المادية إلى تحليلات خاضعة للأمزجة النفسية والآراء السياسية، و لم تعد معاناة فكرية محكومة بمنهج علمي رصين موضوعي مجرد، فللباحث أن يقتحم بخياله ووجدانه وانطباعاته الخلقية والنفسية معترك الظواهر والأحداث التي تقطع في الغالب عن الظروف البيئية والبواعث التربوية والنفسية المشكلة لها، غير أن الباحث يصدر مع ذلك أحكامه النهائية من خلال موازينه البيئية والنفسية، مما جعل الدراسات الإنسانية مطية ذلولاً يركبها أصحاب النزعات والمذاهب لبلوغ غاياتهم، الشيء الذي نجم عنه تشريع اللهو المحرم والترف الوضيع فانغمس أبناء المسلمين في صنوف عديدة من هذا اللهو المحرم كاللعب بالنرد (الطاولة)(PT) والاستماع إلى الغناء الفاحش والموسيقى الفاجرة(PU) والسينما والمسرح والتلفزة الخليعة السافرة(PV) اللعب بالميسر(QM) وأوراق اليانصيب والمراهنة عير الشرعية، وانتهكوا المحرمات باطمئنان كمحرمات الأطعمة والأشربة من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير(QN) وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع وما ذبح على النصب ولحوم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير(QO) وما ذبح بالصعق الكهربائي أو بيد ملحد أو مجوسي أو وثني والخمر والمخدرات... وكمحرمات الملبس والزينة والمظهر كالذهب والحرير على الرجال(QP) وثياب الشهرة الخيلاء والبطر(QQ) وتغيير الخلق الله(QR) وتشبه المرأة بالرجل والرجل بالمرأة(QS) وحلق اللحية(QT) واقتناء الصور والتماثيل التي لا تدعو إليها حاجة مدنية أو علمية(QU).. وكمحرمات الكسب مثل بيع الأشياء

المحرمة(QV) وبيع الغرر والغبن والتلاعب بالأسعار والاحتكار(RM) والغش وشراء السرقة والاغتصاب(RN) وتعاطي الربا والميسر.. هذا علاوة على التقليد الأعمى وما يصاحبه ويترتب عليه من هزيمة روحية ونفسية وتقمص الأخلاق الفاسدة والأزياء والعادات الأجنبية(RO) واصطحاب لأهل السوء والخسران واستسهال الانحرافات كالكذب والزنا والسرقة والاعتداء وتصديق الكهان(RP) والسحرة والتطير(RQ) والانتصار للعصبية والتفاخر بالنسب والنياحة على الموتى ووضع صور الميت على النعش ونصب أكاليل الزهور على القبر وعزف الموسيقى الحزينة وانتساب الولد لغير أبيه وإنجابه بالتلقيح الصناعي.. وخريطة الحرام التي انغمس فيها المسلمون على كل المستويات لا يتأتى حصرها، ودائرة التقليد التي كبلت إرادتهم وعطلت عقولهم على صعيدي التصور والسلوك لا يمكن إحصاؤها، غير أننا أردنا الإشارة إلى كبريات ذلك وعناوينه التي تحيل إلى التفاصيل وتذكر بالأجزاء والمحتويات.

Q- قطع الصلة بين العلوم بمقتضى النظرة التجزئية والرؤية العلمانية، فظهرت المذاهب الفلسفية المتطرفة من مادية ومثالية ووجودية وذرائعية كثمرة من ثمار معرفة مجزأة مقطعة لا تعترف بالارتباط الكلي لهذا الوجود بالرغم من الرباط القوي بين أجزاء الوجود في خضوعه لله رب العالمين.

وقد أدى هذا الواقع الفكري إلى ظهور شخصيات مختلة وكيانات منفصلة تملؤها الحيرة ويعصف بها الاضطراب ويصرفها العجز عن التجاوز والاستيعاب، فهل كان للمدرسة الحديثة أثرها في تشكيل هذه الخريطة السيئة ووجود هذه الأزمة الفكرية وبالتالي انتشار النماذج السيئة والأمثلة الهابطة؟

ب. معوقات بناء القدوة في الحياة المدرسية: يمكن أن نتبين أهم هذه المعوقات من خلال:

N- **الانعزالية:** كانت الكتاتيب وحلقات المساجد تنبثق من الشعب المسلم وتتصل به، فلم تكن طبقة مهنية معزولة كما هو الشأن في المدرسة الحديثة، بل كانت تأخذ على نفسها معالجة مشاكل العالم الإسلامي، وكان طلاب هذا العلم نقاداً لأخطاء الحكام والتجار والأمراء وأصحاب المجتمع نصحاً للمجتمع وإخلاصاً لله تعالى، فالمؤسسة التربوية تشارك المجتمع المسلم أفراحه وآلامه، ذلك أن علم الطلاب فيها هيأهم لخدمة الأمة، بينما أصبحت

المدرسة الحديثة في معزل عن الحياة الاجتماعية، قلما تشعر بحاجات مجتمعها فتحققها أو بأخطائه فتقومها، فقد أضحى هم المربين الأساسي إنهاء المناهج وتنظيم الطلاب وتهيئة الجو المدرسي الملائم والسمعة الطيبة والنتائج المدرسية المرجوة، وتعالت صيحات بعض المربين "كجون ديوي" لجعل المدرسة مجتمعاً صغيراً، غير أن تلك الصيحات كانت قاصرة إلى حد كبير، ذلك أنها نظرت إلى المدرسة وأرادت لها أن تترجم أو تكون صورة مصغرة لمجتمع طلابي طفولي لا يمثل مجتمع الكبار ولا يتعاطف معه إلا نادراً وفي حدود دراسة البيئة والتربية الوطنية(RR).

O- التبعية الثقافية والتربوية للغرب وفلسفته المبنية على الإلحاد: فمعظم كتبنا المدرسية مترجمة نصاً أو معنى عن المراجع والثقافات الغربية، سواء تعلق الأمر بالعلوم البحتة أو العلوم الإنسانية أو مناهج البحث، ومعلوم أن الغربيين غيروا كل الأسس والمبادئ التي بنى عليها المسلمون بحوثهم، بسبب التباين الحاصل في التصور والأسلوب، في التفكير والغاية، فالمفاهيم الغربية مبثوثة مفرقة في مختلف العلوم التي تعلم في نظم التعليم السائدة في العالم الإسلامي ويتكون من مجموعها مركب فكري عقائدي يخالف الإسلام مخالفة جذرية، يقول محمد المبارك: إن هذه الكارثة التي أدخلتها المدرسة الحديثة على أمتنا وأجيالنا في طول البلاد الإسلامية وعرضها والتي لم تعرف الأمة الإسلامية في التاريخ كارثة أشد هولاً وأفظع في نتائجها منها ولا تعدلها كارثة التتار ولا الحروب الصليبية ولا حروب الاستعمار بل إن جميع المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية فروع لهذه المشكلة التربوية(RS).

P- انشطار الشخصية وانفصام الكيان: ذلك أن أوروبا لم تستطع الانسلاخ من الدين واستحالت هيمنته على الحياة، فكان مبدأ الفصل بين العلم والدين، بين الكنيسة والحكم، فقامت العلوم الوضعية في كنف الإلحاد بعيداً عن الدين وانتقلت هذه الصراعية أو الشقاقية إلى معظم مدارس الأقطار الإسلامية من غير أن تشعر، فأستاذ العلوم البحتة لو سأله طالب عن حكمة الخالق في أمر من الأمور لأحاله إلى أستاذ الدين بحجة أن لا علاقة له بالدين، وهو موقف يطرد مع مختلف الأساتذة فينشأ الطفل عن تصورين متشاكسين أحدهما يؤمن بالله المهيمن الخالق والآخر يؤمن بالطبيعة مصدر للطاقات والقوى والقوانين، فانشطار الشخصية

وانفصام الكيان البشري ناشئ عن هذه الفلسفة التي تفصل الدين عن الدولة في المجتمع الواحد والروح عن الجسد في الكائن الواحد والعلم عن الأخلاق في الكيان الإنساني الواحد والعقل عن الوجدان في الشخصية الواحدة، فينشأ الطفل حيران لا كيان له ولا يقين عنده ولا ثقة بشيء يحسن النفاق والتلون وانتحال شخصيات متناقضة متعددة.

Q- وثنية الشهادات والامتحانات وجعلها غاية: فقد كانت "الإجازة العلمية" عند أسلافنا شهادة من عالم جليل لطالب أتقن فنا من الفنون، وهي بالنسبة للطالب تشكل نقطة بداية للدراسة والبحث العلمي أما في المدرسة الحديثة فإن الطالب تقتصر همته على نيل الشهادة التي قد ينالها بالوسائل الملتوية أحياناً، وتنتهي حياته العلمية وينتهي كل شيء حين ينالها، هذا إلى جانب أن معيار تفاوت الشهادات معيار مادي بحت فقيمة الشهادة تقدر بمقدار ما تتيح لصاحبها من عمل أو كسب مادي بأقل جهد ممكن حتى كأنها "صك" يحمله المتخرج، يطرق به أبواب الشركات أو الدوائر الحكومية تأميناً للمركز الاجتماعي والراتب الشهري، والامتحانات أصبحت شبحاً مخيفاً للدارسين، يغطي التعليم كله ويقوم على النظرة المادية والنفعية بحيث أن المناهج تكرس والمراجعات تحصر على هدف واحد هو اجتياز الامتحانات الفصلية أو النهائية، وهكذا صارت جامعتانا ومدارسنا تخرج شباباً قليل الثقافة سطحي التفكير، لا هم له إلا الوصول إلى الشهادة، لا يؤمن بالحقائق العلمية لذاتها ولا يستمتع بنتائجها الفكرية والتطبيقية بل إن الغاية من العلوم عنده لا تتجاوز الامتحان، مما يعني تسلم الوظائف وهم صفر اليدين من أي علم، فيؤول الأمر إلى أن يصبحوا آلة صماء يتحركون وفق الأوامر بحكم عجزهم عن المبادهة والأصالة وابتكار الحلول، لا طموح يحركهم سوى عدّ الأيام لقبض الرواتب وعد الأشهر والسنوات انتظاراً للعلاوة والترقية(RT).

R- الخلط بين البنين والبنات: ففقدان مدرسة متخصصة للبنين ومدرسة متخصصة للبنات يعطل استعداد الطفل نفسياً وجسدياً لمعالم الرجولة ويقعد البنت عن التهيئة نفسياً وجسدياً لمعالم الأنوثة، فجو الرجولة ضرورة تربوية ونفسية لتنشئة الذكور تنشئة سليمة، وجو الأنوثة لابد منه لتفهم البنت دورها في الحياة ولتعيش في اتزان جسدي ونفسي، والمدرسة الحديثة يعيش فيها اليوم في معظم البلاد الإسلامية جنس متميع الصفات لا يصلح أن يكون ذكراً ولا

يصلح أن يكون أنثى، فالمرء لا يستطيع الحكم لأول وهلة وأحياناً لآخر وهلة هل التلميذ ذكراً أو أنثى؟ إن التفريق بين البنات والبنين ضرورة وظيفية فعلم وظائف الأعضاء يقرر أن البنات أسرع نضجاً من البنين في هذه المرحلة فالفتاة تأخذ النضج الجسدي الكامل ابتداء من السادسة عشرة أو السابعة عشرة بينما يتأخر الفتى فلا يميل إلى هذا النضج قبل العشرين أو الواحدة والعشرين ويكون اهتمامه بالمسائل العامة اجتماعية وسياسية وبشرية وفكرية وإصلاحية، في مقابل انشغال البنت بالأمور الخاصة والعاطفية كهندامها وزينتها وزوجها وأولادها المرتقبين(RU)، والجاهلية المعاصرة تكره أن تقر بهذا الواقع بل إنها تحاول تغييره من خلال توحيد برامج الدراسة وسنواتها، وهي قضية تنطوي على بث "الاسترجال" في عقل المرأة متوسلة بادعاء تساوي نسبة الذكاء بين الذكر والأنثى تارة وبتفوق البنت في مواد الرجال الأصيلة تارة وبأن الزواج المبكر وأد لمواهبها وحرمان للمجتمع من نشاطها أو بأنه فن يحتاج إلى خبرة أو بأنها ينبغي أن تسهم في تكاليف الزواج تارة أخرى، ومن بين الوسائل المتبعة في تغيير واقع الأنوثة عند البنت وأخذها بمنهج الرجال نزع الحياء الفطري بتعرية الجسد وتشجيع الحديث في مسائل الجنس وتوحيد نوع التعامل في الدراسة والوظيفة، في المركبة العامة وفي لوائح الدولة، في المحظور والمباح، حيث تنسى المرأة أنها أنثى وتتحول إلى مسخ لا سمة له ولا كيان(RV)، يقول الدكتور: (ألكسيس كاربل) في كتابه "الإنسان ذلك المجهول": ((إن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتي من الشكل الخاص بالأعضاء التناسلية من وجود الرحم والحمل أو من طريقة التعليم، إذ أنها ذات طبيعة أكثر أهمية، ذلك أنها تنشأ من تكون الأنسجة ذاتها أو من تلقيح الجسم كله بمواد كيماوية محددة يفرزها المبيض، وقد أدى الجهل لهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن المرأة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليماً واحداً وأن يمنحا سلطات واحدة ومسؤوليات متشابهة، الحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل فمن سخف الرأي أن نجعل المرأة تتنكر للأمومة، يجب أن تعاد للمرأة وظيفتها الطبيعية التي لا تشتمل على الحمل فقط بل أيضاً على رعاية صغارها))(SM).

وإذا كانت تلك أهم وسائل بناء القدوة الصالحة ومعظم معوقات النموذج الأعلى في الحياة المدرسية والحياة العامة فما هو معيار هذه القدوة أو ميزان ذلك النموذج، إذ أننا لا نستطيع الحصر عملياً وكان اللجوء إلى القاعدة أمراً ميسوراً بالنظر إلى مراجعة المادة كلياً.

P- معيار القدوة الصالحة أو ميزان النموذج الأسمى: إن المعيار الذي لا يختلف والمقياس الثابت لبناء القدوة الصالحة هو أن تكون قاعدة حياتنا هي الإسلام ومنهج حياتنا هو الإسلام ومنهج حكمنا هو الإسلام ومنهج سياستنا واقتصادنا واجتماعنا وأخلاقنا وتربيتنا هو الإسلام، ولا يتم هذا إلا في ضوء تربية إسلامية إنسانية عالمية وتكاملية وشمولية ومتوازنة وسلوكية عملية وفردية واجتماعية تستجيب للضمير الخلقي ولفطرة الهدي الأصيلة متوجهة نحو الخير في محافظة وتجديد واستمرار وتدرج، تتسم بالاعتدال والوسطية وترتيب الأولويات، يقول القرطبي: "العلم الأعلى علم الدين والأوسط علوم الدنيا كالطب الهندسة والأسفل أحكام الصناعات وضروب الأعمال مثل السباحة والفروسية والخط"(SN)، فإذا كانت القدوة تتشكل وفق هذا الميزان وتتأسس بمقتضى هذه المقتضيات والأدلة في صورتها النظرية، فما هي نماذجها الواقعة المعروفة وما هي ترجماتها الحية المشهودة؟

N- القدوة/ صالح بن عبد الله بن حميد/ الندوة العالمية للشباب الإسلامي- الرياض/ ط N/ NWWP/ ص NM.

O- منهج القرآن في تربية المجتمع/ م.س.ذ/ ص: PPP.

P- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم/ م.س.ذ/ ج O/ ص: PSU.

Q- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم/ م.س.ذ/ ج P/ ص: NWU.

R- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم/ م.س.ذ/ ج N/ ص: PUN.

S- فتح الباري على صحيح البخاري/ م.س.ذ/ ج V/ ص: OUT.

T- فلسفة المعرفة في القرآن/ علي عبد العظيم/ مجمع البحوث الإسلامية/ ط N/ NWTP/ ص NST.

U- الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية/ جماعة من الأساتذة/ بيروت/ ط R/ NWUO/ ص: NWP.

V- صفة الصفوة/ ابن الجوزي/ دار الفكر/ ط N/ NWTU/ ج P/ ص: NWP.

NM- الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية/ م.س.ذ/ ص: NUT.

NN- الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية/ م.س.ذ/ ص: NWQ.

NO- مناهج التربية الإسلامية/ م.س.ذ/ ج O/ ص: NOO.

NP- تربية الأولاد في الإسلام/ م.س.ذ/ ج O/ ص: UPU.

NQ- تربية الأولاد في الإسلام/ م.س.ذ/ ج O/ ص: NQS.

NR- الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية/ م.س.ذ/ ص: NWP.

NS- نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي/ د. محمد فاضل الجمالي/ الدار التونسية للنشر/ ط N/ NWTU/ ص: TN.

NT- منهاج المسلم/ م.س.ذ/ ص: TR.

NU- فقه السنة/ م.س.ذ/ ج P/ ص OWQ.

NV- رياض الصالحين/ م.س.ذ/ ص: PTR.

OM- أصول التربية الإسلامية وأساليبها/ م.س.ذ/ ص: NPS.

ON- القيادة في العمل الإسلامي/ مصطفى محمد طحان/ إدارة الوثائق/ ط/ NVUR/ ص: VU.

OO- تربية الأولاد في الإسلام/ م.س.ذ/ ج/ ص: UQO.

OP- أصول التربية الإسلامية وأساليبها/ م.س.ذ/ ص: NQU.

OQ- منهج القرآن في تربية المجتمع/ م.س.ذ/ ص: NTU.

OR- التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية/ م.س.ذ/ ص: OTR.

OS- مناهج التربية الإسلامية/ م.س.ذ/ ج/ ص: NMU.

OT- برامج التعليم الأساسي/ مفتشية التعليم الأساسي/ مرقون/ NVVR.

OU- يقول ﷺ: "ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية" أبو داود.

OV- والتعلق بالأوطان قد يكون مذموماً حينما لا يكون لوجه الله تعالى قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ النساء: ٦٦.

PM- وفيهم يتنزل قول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ محمد: ٩.

PN- قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ التوبة: ٦٥ - ٦٦.

PO- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ النحل: ١١٦.

PP- وفيهم يقول البـــاري جـــل جلالـــه: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ البقرة: ٨٥.

PQ- ومن هؤلاء الفرقة القديانية التي كان من وراء ظهورها في الهند أقطاب الغزو الإنجليزي قال رسول الله ﷺ: "ألا هل عسى رجل يبلغ الحديث عني وهو متكئ على أريكة فيقول بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمناه وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله" الترمذي وأبو داود وابن ماجه.

PR- والآية الكريمة تشير إلى حقيقة هذه الفرقة: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ آل عمران: ٧.

PS- ولقد سخر القرآن من هذه الزمرة الســـخيفة: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الجاثية: ٢٤.

PT- يقول ﷺ: "من لعب النرد فقد عصى الله ورسوله" رواه مالك وأحمد وأبو داود وابـــن ماجه.

PU- قال ﷺ: "ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر (الزنا) والحرير والخمر والمعازف" رواه البخاري وأحمد وابن ماجه، يقول محمد الحامد في رسالة حكم "الإسلام في الغناء": ((يبـــاح الغناء إن كان لبعث الهمة على العمل الثقيل، أو لترويح النفس أثناء قطع المفاوز "الارتجـــاز" فقد ارتجز النبي ﷺ في بناء المسجد وحفر الخندق.. وكالحداء وكالشعر السالم من الفحـــش وهجاء المسلم والذمي.. فقد أنشد كعب بن زهير بحضرة النبي ﷺ:

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول

وقد سمع النبي ﷺ قصيدة لحسان بن ثابت مطلعها:

قلبت فؤادك في المنام خريدة تسقي الضجيع ببارد بسام

ومنه غناء النساء لينام الصغار، ومنه الغزل البريء في الأعراس.

PV- أن اختراع وسائل الإعلام الحديثة من أعظم ما أنتجته الحضارة المادية في القرن العشرين وهي سلاح ذو حدين إن استخدمت للخير ثبتت العقيدة ودعمت الخلق الفاضل وعلمت على ربط الجيل بماضي الأمة وتوعية الأمة وإصلاحها، والاتفاق على جوازها في هذه الحالة، وأما إذا استخدمت للشر فلا خلاف في حرمتها.

QM- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ المائدة: ٩٠.

QN- قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌ ﴾ المائدة: ٣.

QO- نهيه ﷺ: "عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير" الشيخان.

QP- عن حذيفة رضي الله عنه: "نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه" البخاري.

QQ- قال ﷺ: "من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة" أحمد وأبو داود والنسائي.

QR- قال ﷺ: "لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله" الشيخان.

QS- قال ﷺ: "لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال" البخاري وأصحاب السنن.

QT- قال ﷺ: "جزوا الشوارب وأرخوا اللحى وخالفوا المجوس" مسلم.

QU- قال ﷺ: "إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون" الشيخان.

QV- قال ﷺ: "إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه" أحمد وأبو داود.

RM- قال ﷺ: "لا يحتكر إلا خاطئ" مسلم، وقال ﷺ: "من غشنا فليس منا" مسلم.

RN- قال ﷺ: "من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة فقد اشترك في إثمها وعارها" الشيخان.

RO- قال ﷺ: "إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم" الشيخان.

RP- قال ﷺ: "من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه فيما قال لم تقبل له صلاة أبعين يوماً" مسلم.

RQ- قال ﷺ: "العيافة والطيرة والطرق من الجبت" أبو داود والنسائي وابن ماجه.

RR- أصول التربية الإسلامية وأساليبها/ م.س.ذ/ ص:NRM.

RS- مقال للأستاذ محمد المبارك بعنوان: (نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع)، نشر في مجلة البحث الإسلامي عدد NNT رجب NPVT/ ص: PR.

RT- أصول التربية الإسلامية وأساليبها/ م.س.ذ/ ص:NRO.

RU- مناهج التربية الإسلامية/ م.س.ذ/ ج Q/ ص:OQU.

RV- التربية الإسلامية بين القديم والحديث/ محمد المختار بن أبـــاه/ منشـــورات المنظمـــة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة/ ط N/ NVUV/ ص NM.

SM- مناهج التربية الإسلامية/ م.س.ذ/ ج Q/ ص:ORM.

SN- نحو توحيد الفكر التربوي الإسلامي/ م.س.ذ/ ص:NMQ.

الفصل الثالث:

- القدوة الصالحة نماذجها وأمثلتها
- الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم
- الصحابة رضي الله عنهم
- التابعون رحمهم الله
- الأئمة و الحكماء
- الإعلام
- العادة

القدوة الصالحة نماذجها و أمثلتها

إن نماذج وأمثلة القدوة سيئة كانت أو صالحة تستعصي على الاستقصاء وتستحيل على الحصر، ذلك أن النماذج التي تتعادل فيها كفتا الشر والخير، فيغيب لديها الاتسام المعياري بالفضيلة أو الرذيلة ليست هي النماذج الغالبة، وغني عن القول أن ما عداها يشكل قدوات للشر أو الخير على تفاوت في ضعف النموذج وقوته، في نقصه وكماله، وعلى اختلاف في الجوانب البارزة والنقاط اللامعة من شخصية إلى أخرى كانت مثالاً أسمى أو نموذجاً هابطاً، غير أننا يمكن أن نطمئن إلى أن كل نموذج بشري مهما كان الجانب الذي تناولناه منه يكشف كشفاً حيوياً عن صنوف الخير إن كان مثالاً صالحاً ويفضح بصورة سافرة صنوف الشر إن كان نموذجاً سيئاً مما جعلنا في هذا الفصل نقتصر على شخصيات محدودة وفي جوانب بعينها ما دام الأثر المتوخى حصوله في نفس القارئ يحصل بذلك، فكيف تم ذلك في مجال المثال الأسمى؟ وما هي درجاته ومستوياته؟

أولاً: المثال الأسمى أو القدوة الحسنة: تتوارد على الذهن في هذا المثال شخصيات فذة لا حصر لها على مدار التاريخ الإنساني، لذا فإننا سنتناوله وفق ترتيب أكرونولوجي (تاريخي)، فنبدأ بالأنبياء ونثني بالصحابة إلى أن ننتهي إلى الأعلام الموريتانية.

1- الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم: من لدن آدم إلى محمد ﷺ قدوات كاملة للبشرية على مر التاريخ، فمن متطلبات التعليم وامتثال الأوامر واجتناب النواهي وإتمام العمل على الوجه الصحيح إيجاد القدوة التي تترجم ذلك كله فكان من لطف الله بعباده أن ابتعث في كل أمة رسولاً قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ النحل: ٣٦. متصفاً بأعلى الكمالات النفسية والخلقية والعقلية حتى يأخذ الناس منه ويهتدوا بهديه ويستجيبوا له وينهجوا نهجه في المكارم والفضائل والخلق العظيم....، من هنا كانت النبوة اصطفاء وتكليفاً لا يوصل إليه بالكسب والسعي قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾ الأنعام: ١٢٤، وهو أدرى بمن يختار من عباده ليكونوا أسوة مبشرين ومنذرين، ومحمد ﷺ بوصفه الخاتم للنبوءات والناسخ للرسالات تنحصر فيه

القدوة الصالحة منذ بعثته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ ﴾ الأحزاب: ٤٥ - ٤٦. فهو السراج المنير على مدار الزمن والنموذج الكامل من جميع الجوانب عبر أمكنة الدنيا كلها وقد اصطفاه الله لهذه المهمة وهيأ له أسباب ذلك، فقرن طاعته بطاعته فقال: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ النساء: ٨٠، وقرن محبته بمحبته فقال: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ٣١، وقرن رضوانه برضوانه فقال: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٦٢ ﴾ التوبة: ٦٢، وقرن بيعته ببيعته فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ الفتح: ١٠، وقرن الاستجابة له بالاستجابة له، قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ الأنفال: ٢٤ ، وقرن معصيته بمعصيته ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤ ﴾ النساء: ١٤، ورتب الخسران على شقاقه ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾ النساء: ١١٥، ورتب الإيمان على تحكيمه ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾ النساء: ٦٥.

واسم رسول الله ﷺ مرتبط باسم الله فلا يذكر الله إلا وذكر رسول الله ﷺ كما في الأذان والتشهد.....(1) وقد صان الله القدوة الكاملة محمداً ﷺ عما يشين كماله، فزكى لسانه فقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾ النجم: ٣ - ٤, وزكى بصره فقال: ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ ﴾ النجم: ١٧، وزكى خلقه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾ القلم: ٤، وزكى عقله: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ ﴾ التكوير: ٢٢، وزكى

فؤاده: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ النجم: ١١، وزكى هديه لقومه: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ الشورى: ٥٢، وزكى أمته من بعده: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ آل عمران: ١١٠، وقد كان المصطفى عليه الصلاة والسلام القدوة في كل منحى من مناحي الحياة وفي كل صغيرة وكبيرة، وفي كل حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله وأحاسيسه وأفكاره، وقد ترجمت عائشة رضي الله عنها هذه الحقيقة بقولها: "كان خلقه القرآن يسخط بسخطه ويرضى برضاه"(2)، حقاً لقد كان ﷺ الترجمان الحي والصورة المتحركة لتوجيهات القرآن الخالدة في كل الاتجاهات والمستويات.... شخوص كثيرة مجتمعة في شخص واحد، كل واحد متكامل في ذاته متخصص في جانبه كأنه منقطع له... ثم تتجمع الشخوص لتتكامل على نطاق أوسع وتتناسق في محيطها الشامل، فتتألف منها نفس واحدة تنصهر فيها كل النفوس في توازن واتساق وتوافق. ففي العبادة يؤسس القدوة: متحنثاً عابداً لربه كأنه متخصص لأدائها، لا يشغله هم من الهموم ولا يصرفه نشاط من الأنشطة، خالية نفسه من النوازع فارغاً كيانه من الرغبات، فقد روى البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة ﷺ: كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتورم قدماه ولما قيل له أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال: "أفلا أكون عبداً شكوراً" (3).

وفي الحركة والسعي والبناء والتعمير كان قدوة في الحيوية والنشاط والشجاعة، يمضي في الأمر بكل كيانه، يسبق الناس إلى مكان الخطر، ويثبت حين يفرون من المفزع: "ففزع أهل المدينة ليلةً فتلقاهم رسول الله ﷺ، وقد سبقهم إلى الصوت المفزع على فرس عري لأبي طلحة، والسيف في عنقه وهو يقول –و قد استبرأ الخبر– لن تراعوا"....(4)، وقال عنه علي ﷺ: (كان أشجعنا أقربنا إلى رسول الله ﷺ في القتال)(5).

وفي الصدق والأمانة بلغ أن كان في الجاهلية يدعى الصادق الأمين.....، وفي أشد المواقف إحراجاً لم يستطيعوا إلا أن يقولوها إلا مدوية عالية: (ما جربنا عليك كذباً).

وفي الأخلاق والمعاشرة كان يتزوج ويستمتع بالطيبات من الرزق ويقول ﷺ: "من رغب عن سنتي فليس مني"(6)، يسلم على الصغير والكبير زاهداً في متاع الدنيا يتضرع إلى الله بقوله:

"اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً"(7). لا لفقر وضيق يد فالله معطيه ما طلب، وإنما هي رسالة التعاون والبذل والإيثار، ورسالة التحذير من زهرة الحياة الدنيا وفتنتها عن واجب الدعوة وإعلاء كلمة الله.... فهو أب وزوج ورب أسرة كثيرة النفقات: نفقات النفس والفكر والشعور فضلاً عن نفقات المال... كأنه متخصص للأبوة مستغرق في الأسرة على أعلى نمط شهده التاريخ.... وصديق حميم وصاحب ودود وقريب ملاطف تشغله هموم الناس وتعنيه مشاعرهم، يعود المريض ويزور الحبيب والجار ويعين المحتاج ويمنح الود والعطف والحنان كأنه رجل إنساني القلب كرس حياته لشؤون الناس.... وفي مجال الدعوة قائم منافح على أعظم دعوة شهدتها الأرض.... يبلغها فيأسى ويحزن لمن أعرض عن ذكر الله.... همه أن يدخل الناس في دين الله وأن يستجيب البشر لهدي الله حتى لا يحيق بهم مكر الله، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ التوبة: ١٢٨.... وفي مجال التواضع والحلم: كان ﷺ يخصف النعل ويرقع الثوب ويقم البيت ويحلب الشاة ويعجن العجين ويعين الخادم ويذهب إلى السوق ويعقل البعير ويأكل مع الخادم ويجلس على الأرض ويستجيب لدعوة الحر والعبد والأمة ويقبل عذر المعتذر....(8)، روت عائشة رضي الله عنها قالت: "إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتأخذ به حيث شاءت" رواه البخاري....(9). أما الحلم فقد بلغ منه الذروة وضرب فيه المثال الأسمى، فقد روى الشيخان عن أنس ﷺ قال: "كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت به حاشية البرد من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء"....(10) وهذا غيض من فيض..... وفي حسن السياسة كان مضرب المثل وقدوة الناس جميعاً أشاد أمة من الفتات المتناحر، وألف بين قلوب استحكم فيها التشاجر، فإذا هي بناء ضخم لا يطاوله شيء في التاريخ... ومنح هذه الأمة من وقته وفكره وجهده وروحه ومشاعره ما يغطي وحدة حياة كاملة..... وفي الحرب رجل يضع الخطط ويقود الجيوش

ويحارب وينتصر.... كقائد متخصص كل همه القتال متفرغاً له لا يشغله سواه...(11)، وفي الجود والكرم كان الذروة العليا والمنقطع النظير، يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة: "كان أجود بالخير من الريح المرسلة وكان أجود ما يكون في رمضان"...(12).

وفي اللياقة والرياضة كان قدوة الإعداد المطلوب للجهاد، فقد صرع ركانة وهو سيد المصارعين بلا منازع ثلاث مرات فقال بعد الثالثة أشهد أنك رسول الله، وقد قضى على أبي بن خلف في معركة أحد بضربة قال عنها أبي: لو قسمت على أهل الحجاز لماتوا كلهم...(14)، وكان يقول: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير" مسلم...(15).

من أجل هذا وغيره مما لا تستوفيه الكتابة ولا تحيط به الأقلام كان رسول الله ﷺ قدوة تتمثل فيه هذه الصفات كلها وهذه الطاقات جميعاً، وهو بشر يراه البشر فيتأسون كل بقدر طاقته... إن شخصية الرسول ﷺ آية كونية للناس كافة وللأجيال كافة، لأنه الأسوة الخالدة والقدوة الباقية إلى يوم القيامة، والمثل الأعلى في حياة الناس ديناً ودنيا، من هنا كان الحب والولاء والتفاني في الاقتداء والأسوة به ﷺ ممن آمنوا به وعاينوه وعايشوه.... فقد كان أثره في نفوسهم خطيراً، وكان التحول الذي أحدثه في واقعهم عجيباً، فمن هؤلاء الجلة؟ وبماذا وصفهم رسول الله ﷺ؟ وبم أثنى عليهم المولى جل جلاله؟

2- الصحابة: جمع صحابي والصحابي (من لقي النبي ﷺ مسلماً ومات على الإسلام ولو تخللت صحبته ردة)...(16) وهم صفوة رباها منقذ البشرية صلوات الله وسلامه عليه بالوحي الذي كان هو ترجمانه الكاشف وسراجه المضيء إلى أن استحقوا الثناء من الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ الفتح: ٢٩، ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الذاريات: ١٧ – ١٨، ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ

أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الحشر: ٩ ، ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٣،

واستحقوا الوسام من رسول الله ﷺ حين قال: "لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ ذلك مد أحدهم و لا نصيفه"...(17).

وقد وصفهم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ وصفاً دقيقاً صادقاً فقال: (من كان متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً.....اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم)...(18).

ففي الصحابة رضوان الله عليهم تتوافر جواذب التقليد ومعززات التأثير من عظمة وكمال في شخص المربي وإفادة للمربي وحسن بذل وعطاء وحب ورقابة ومتابعة وتوجيه مستمر، وصلاحية للقيادة وقدرة على الريادة وحتى لا تظل هذه المعاني مجردة نظرية بعيدة غير متصورة فإننا سنترجمها من خلال أمثلة حية أو أشخاص بعينهم من الصفوة الصادقة الصالحة:

فأبو عبيدة بن الجراح كان ترجمة للقدوة الصالحة غير أن وسامه البارز صفة الأمانة، فقد زكاه رسول الله ﷺ بقوله:"لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة" متفق عليه...(19).

وهذه الأمانة كانت صفته المميزة، غير أن جوانب القدوة الحسنة والمثال الرفيع كانت تتحدر من الصحابة رضوان الله عليهم في كل الاتجاهات، فقد كان أبو عبيدة ﷺ إلى أمانته رقيق الحاشية، جم التواضع، شديد الحياء، يغدو كأنه الليث غادياً إذا جد الجد وحزب الأمر، وصدق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حين نعته بقوله: (ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوهاً وأحسنها أخلاقاً وأثبتها حياء، إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم لم يكذبوك: أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان وأبو عبيدة بن الجراح)، وقد بلغ الشأو وانتهى إلى الذروة من الصرامة في الحق وقوة الإيمان والانتصار على النفس، يترجم ذلك نجاحه في الابتلاء يوم بدر حين انطلق يصول بين الصفوف صولة من لا يهاب الردى فيهابه المشركون ويجول جولة من لا يخاف الموت فحذره فرسان قريش وجعلوا يتنحون عنه كلما واجهوه لكن رجلاً واحداً

جعل يبرز لأبي عبيدة في كل اتجاه فكان أبو عبيدة ينحرف عن طريقه ويتحامى عن لقائه ولجّ الرجل في الهجوم وأكثر أبو عبيدة من التنحي غير أن الرجل سد المسالك ووقف حائلاً بينه وبين أعداء الله، فلما ضاق به ذرعاً ضرب رأسه بالسيف ضربة فلقته فلقتين فخر الرجل صريعاً بين يديه وهو يعرف أنه عبد الله بن الجراح والده، فأبو عبيدة مصرّ على قتل الشرك ولو كان في شخص والده...(20)، وقد تجاوز أبو عبيدة العتبة وبلغ المترل في حب رسول الله ﷺ، فحين أقبل أبو بكر الصديق ﷺ يوم أحد يود أن ينتزع حلقتين غارتا في وجنة رسول الله ﷺ أقسم عليه أبو عبيدة أن يترك له ذلك وخشي إن اقتلعهما بيده أن يؤلم رسول الله ﷺ فعض على أولاهما بثنيته عضاً قوياً محكماً فاستخرجها ووقعت ثنيته ثم عض على الأخرى بثنيته الثانية فاقتلعها فسقطت ثنيته الثانية. ولو تتبعنا سيرة هذا الرعيل لوجدناها سلسلة من ذرا القدوة الصالحة فما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر الغفاري ﷺ، فبالصدق في القول والعمل، في السر والعلانية أدخل قومه في الإسلام واحداً إثر واحد وانتقل إلى قبيلة أسلم ليفعل فعله الزكي وقوله البهي وعزمه الصادق فيها فعله فتتحول على يده جنوداً لدين الله تعالى ويأتي بموكب قبيلتي غفار وأسلم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة وقد أسلموا عن بكرة أبيهم رجالاً ونساء، شيوخاً وأطفالاً.... ثم يعيش حياته كلها بعد ذلك يدحض الخطأ ويبني الصواب ويعلن هذا المنهج بصوت عال: (والذي نفسي بيده لو وضعتم السيف فوق عنقي ثم ظننت أنني منفذ كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تحتزوه لأنفذتها).

ولون آخر من القدوة هو الحرص على بلوغ الحق مهما كانت الصعاب دونه يعلمنا إياه سلمان الفارسي ﷺ حين يجوب البلاد ويقطع الوهاد بحثاً عن الحقيقة وتحصيلاً للهدي والرشاد أنى كان، فيترحل من أصفهان إلى الشام والموصل ونصيبين يتقلب بين خيرة أساقفة وبابوات زمانه بحثاً عن الدين الحق وصاحبه الذي أطل زمانه ويضع عصا الترحال في نهاية المطاف بالمدينة حين يجد محمداً ﷺ ويتعرف فيه على الوصف الذي يبحث عنه فيسلم إسلام الأبرار المتقين وينصرف لدين الله بكليته بعد أن أنقذه محمد ﷺ من رق العبودية ورباه حتى أشبه عمر بن الخطاب ﷺ في رعاية الحق والزهد والفطنة والورع.

وألوان القدوة الصالحة في هذا الجيل الزكي لا تنقضي ففي الثبات وصلابة الإيمان نغترف من بحر زلال ونجتني أطيب الثمار من سيرة سعد بن أبي وقاص ﷺ، فيوم أسلم مع رسول الله ﷺ ركبت أمه جميع المحاولات لرده وصده عن سبيل الله وكان آخرها أن أعلنت صـــومها عـــن الطعام والشراب حتى يعود سعد إلى دين آبائه ومضت في تصميم مستميت تواصل إضـــرابها عن الطعام والشراب حتى أشرفت على الهلاك، وحينها دنا منها سعد ﷺ فصاح بصوت عال لتسمعه: (والله يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت دين محمد ﷺ) ونتابع مع هذه السلسلة الشامخة فنقف مع الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ الذي شهد له رسول الله ﷺ بأنه معلم وهو ما زال غلاماً يافعاً وأبصر منه الأمانة والحزم وتوسم فيه الخير، فكان بعد أن أسلم أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ هدياً وسمتاً، وكان قدوة فذة في القراءة والفقه والعلم، ذلك ما يترجمه موقف عمر بن الخطاب ﷺ حين أتاه رجل من الكوفة فقال: إنه ترك فيها رجلاً يملي المصاحف من صدره، فغضب عمر وانتفخ حتى ملأ بين شعبتي الرحل وقال من هو ويحك؟ قال: عبد الله بن مسعود، فما زال ينطفئ ويسرى عنه حتى عاد إلى حاله ثم قال: ويحك والله ما أعلم أنه بقي أحد من الناس أحق بهذا الأمر منه، ولقد بلغ من علم عبد الله بن مسعود ﷺ بكتاب الله أنه كان يقول: (والله الذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وأعلم فيم نزلت ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تناله المطي لأتيته)...(22)، ولم يبالغ عبد الله بن مسعود ﷺ في مقاله عن نفسه فهذا ابن الخطاب عمر ﷺ يلقى ركباً وهو مسافر في ظلمة ليل دامس، وفي الركب عبد الله بن مسعود ﷺ فأمر عمر رجلاً فقال: من أين القوم؟ فأجابه عبد الله: من الفج العميق، فقال عمر: أين تريدون؟ فأجابه عبد الله: البيت العتيق، فقال عمر: إن فيهم عالماً وأمر رجلاً فناداهم: أي القرآن أعظم؟ فأجابه عبد الله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾ البقرة: ٢٥٥، فقال عمر: سلهم أي القرآن أحكم؟ فقال عبد الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ النحل: ٩٠، فقال عمر: نادهم أي القرآن أجمع؟ فقال عبد الله: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ

شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ الزلزلة: ٧ - ٨، فقال عمر: استفتهم أي القرآن أخوف؟ فقال عبد الله: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ النساء: ١٢٣، فقال عمر ﷺ: نادهم أي القرآن أرجى؟ فقال عبد الله: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣. وحين مرض عبد الله بن مسعود ﷺ مرض الموت جاءه عثمان عائداً فقال له: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بعطائك الذي امتنعت من أخذه منذ سنين؟ قال: لا حاجة لي به، قال: يكون لبناتك من بعدك؟ قال: أتخشي على بناتي الفقر؟ إني أمرتهن أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة.. وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً" الترمذي.

والقدوة الصالحة في أنصع تجلياتها تؤسسها مختلف الجوانب في حياة أصحاب رسول الله ﷺ، غير أن لكل منهم ميزته الخاصة ووسامه المستقل وخلقه الغالب، فالدعوة إلى الله مثلاً ونشر العلم وسام مصعب بن عمير ﷺ، ورئاسة القضاء والفتوى والعلم بالقرآن والفرائض وسام زيد بن ثابت ﷺ، والانقطاع للتبتل والزهد وسام عثمان بن مظعون ﷺ، والشجاعة والجرأة والمهارة في الحرب وسام سيف الله المسلول خالد بن الوليد ﷺ، والحكمة وقوة اليقين وسام أبي الدرداء ﷺ، والتعمير والإنشاء لأرض الله ابتغاء مرضاة الله وسام عبد الرحمن بن عوف ﷺ، والإخلاص والصبر وسام أبي موسى الأشعري ﷺ، وشدة الحفظ والضبط وسام أبي هريرة ﷺ، وشراء النفس ابتغاء مرضاة الله وسام صهيب الرومي ﷺ، والشبه بالمصطفى ﷺ خلقاً وخلقاً وسام جعفر بن أبي طالب ﷺ، والوفاء بالعهد وسام أبي العاص بن الربيع ﷺ، والمهارة في الخداع الحربي وسام نعيم بن مسعود ﷺ، والعلم بالحلال والحرام وسام معاذ بن جبل ﷺ، وتصديق رسول الله ﷺ والثبات في شتى المواقف وسام أبي بكر ﷺ، والشدة على أعداء الله والرأفة بالمؤمنين والعدل بين الناس وسام عمر بن الخطاب ﷺ، والكرم والحياء

وسام عثمان بن عفان ﷺ، والزهد في الدنيا والقوة في الحق والشجاعة عند الحرب وسام علي بن أبي طالب ﷺ...

لقد تجمعت القدوة الصالحة من شتى النواحي الجهادية والخلقية والعلمية والتربوية في صحابة رسول الله ﷺ، فكانوا مدرسة فريدة قدمت الخير والزاد في يسر وبساطة دون مشقة أو تكلف، وأحالت المعاني التربوية إلى واقع حي يقع تحت أنظار الجميع ويستجيش الهمم، ويذلل الصعاب، ويسمو بالنفس ويهذب الوجدان ويشحذ العقل ويضبط حركة الجسم، ويرسم طريقها إلى الأهداف النبيلة في هذا الوجود، فهل نستفيد من هذا المعين الذي لا ينضب، ونسترشد بهذا المنهج التربوي الفريد؟ وهل نقتفي أثر من تلقوا هذه التربية وهذا الهدى بكل كيانهم من التابعين ومن بعدهم؟

3- التابعون ...(24): نموذج يلي الصحابة من نماذج القرون التي زكاها رسول الله ﷺ فلا غرو أن كانوا القدوة الحسنة والمثال الأسمى في العقيدة والعبادة، في السلوك والخلق، في المعاشرة والإحسان في البناء والتعمير... فقد كانوا يعون جيداً المقصد الأسمى من هذه الحياة والسبيل الأقوم فيها، فيتنافسون في الوصول إلى الغاية الكبرى مشكلين منارات ونماذج فذة، يقتدي بها السالكون ويهتدي بنورها السائرون، ذلك أنهم يعلمون علم اليقين أن التنافس في أمر الآخرة والسعي لنعيمها يصلح الأرض ويعمرها ويطهرها للجميع، أما السعي في أمر الدنيا الصرفة وعرضها الزائل فيدع الأرض مستنقعاً وبيئاً تأكل فيها الديدان بعضها بعضاً...(25).

- ففي تحرير الولاء لله لا تنحصر الأمثلة الحية والمواقف المعبرة فقد رفض سعيد بن المسيب البيعة للوليد ثم لسليمان في جرأة وقوة وصراحة، لم يزعزعها إجماع غيره على ذلك ولا شدة وقع سياط هشام على ظهره بل إنه حزن حزناً شديداً عندما رده من ثنية القتل حياً... ومرة أخرى يلزم سعيد بن المسيب قبلة المسجد النبوي حين خلي المسجد للوليد ويرد عليه بفتور عندما قال له: كيف أنت أيها الشيخ؟ بخير والحمد لله. فينصرف الوليد وهو يقول: (هذه بقية الناس)، ففي الموقفين ثقة بالله وعز به وولاء له استحوذ على الحركة والسكون وتجلى في الصمت والكلام... وهذا الولاء يستحوذ على النفس فتستحيي من سواد الليل أن لا تنيره بالعبادة كما قال التابعي الجليل الفضيل بن عياض -رحمه الله-: (أدركت أقواماً يستحيون من

الله في سواد الليل من طول الهجعة، إنما هو على الجنب فإذا تحرك قال ليس هذا لك قومي خذي حظك من الآخرة)...(26)، وتنتهز الفرص في أشد ساعات الناس غفلة، فقد كان التابعي الجليل محمد بن سيرين –رحمه الله– (يدخل السوق نصف النهار فيكبر الله ويسبحه ويذكره ويقول: إنها ساعة غفلة الناس)...(27).

– وفي الإنفاق والبذل لله رب العالمين فهموا أن المال لله وأنه استخلف فيه، وبين مجالات الصرف وأولوياته ليختبر صدق حبه بالتنازل عن المال المحبوب، ليطهر النفس ويزكيها من رذيلة البخل ويشكر الله على آلائه بالبذل منها في سبيله لتحقق غاية الشارع في التكافل والتوادد والرحمة والشفقة والتعاون بين المسلمين... لذلك قال الحسن البصري –رحمه الله–: (لأن أقضي حاجة لأخ لي أحب إلي من أن أعتكف سنة)...(28) .

وكان رجل يمشي مع سفيان بن عيينة –رحمه الله– إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه فبكى فقال: يا أبا محمد ما الذي أبكاك؟ فقال: (أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه؟)...(29).

وقال سفيان في الإمساك عن الإنفاق وخوف الفقر: (ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر) قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨ ﴾ البقرة: ٢٦٨، لما يؤدي إليه من الأخذ بالباطل ومنع الحق والكلام بالهوى وظن السوء بالله تعالى...

– وفي الأدب الذي هو (رياضة النفس ومحاسن الأخلاق أو هو ملكة تعصم عما يشين أو تنزل كل قوة من قوى النفس في موضعها ونضعها في مكانها المناسب فالقوة الغضبية مثلاً متأصلة في النفس البشرية يذم المرء ويحمد على التحكم فيها ونوع الاستجابة إليها فالتحكم في النفس مطلوب إبان الهيجان وكظم الغيظ محمود عند اشتعال نار الغضب إلا إذا تعلق الأمر بانتهاك حرمة من محرمات الله تعالى... فالقوة الغضبية تذم أو تمدح تبعاً للأشياء التي دعت إليها ووفقاً للحدود التي التزمتها والمظاهر التي اتخذتها والأساليب التي استخدمت فيها... وهكذا سائر القوى النفسية كشهوة الأكل والشرب والجماع واللباس والركوب والمشي

والنظر والاستماع والشم... وكعاطفة الحب والرأفة والرحمة والبغض والحسد والرغبة والرهبة...)...(30).

كان التابعون -رحمة الله عليهم- الذروة والقدوة المثلى في هذا الخلق الرفيع قال الحسن البصري -رحمه الله-: (إن كان الرجل ليخرج في أدب نفسه السنين ثم السنين)...(31)

وقال مخلد بن الحسين لابن المبارك -رحمه الله-: (نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث)...(32).

- وفي الجرأة على الحق والشجاعة فيه، تصدى الحسن البصري -رحمه الله- لطغيان الحجاج بن يوسف الثقفي، فعندما بنى الحجاج قصراً منيفاً في واسط...(33) ودعا الناس لمشاهدته اغتنم الحسن تلك الفرصة فوقف في الناس خطيباً وقال: (لقد نظرنا في ما ابتنى أخبث الأخبثين فوجدنا أن فرعون شيد أعظم مما شيد... ثم أهلك الله فرعون وأتى على بنيانه... ليت الحجاج يعلم أن أهل السماء قد مقتوه وأن أهل الأرض قد غروه...) فأشفق عليه أحد السامعين وقال: حسبك يا أبا سعيد، فقال له الحسن: لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتمونه، وفي اليوم التالي دخل الحجاج على جلاسه وهو يتميز غيظاً وقال تباً لكم وسحقاً يجترئ علي عبد من عبيد البصرة وأنتم ساكتون!! والله لأسقينكم من دمه يا معشر الجبناء... وما هو إلا قليل حتى جاء الحسن فشخصت نحوه الأبصار... ثم أقبل على الحجاج وعليه جلال المؤمن وعزة المسلم ووقار الداعية إلى الله تعالى... فهابه الحجاج أشد الهيبة وقال له هاهنا يا أبا سعيد... والحسن يجيبه عن كل مسألة بجنان ثابت وبيان ساحر وعلم واسع فقال له الحجاج: أنت سيد العلماء يا أبا سعيد... وقد كانت له مواقف كثيرة مشابهة مع الولاة والأمراء يخرج منها عظيماً في أعين ذوي السلطان عزيزاً بالله محفوظاً بحفظه...(34).

- وفي العدل وتحري الحق تطالعنا قصة شريح القاضي -رحمه الله- مع أمير المؤمنين ومع ابنه هو وفلذة كبده:

- ابتاع عمر بن الخطاب ﷺ فرساً من أعرابي ونقده ثمنه، غير أنه لاحظ عطباً في الفرس فانثنى به وقال للرجل: خذ فرسك فإنه معطوب، فامتنع الرجل وقال: بعته منك سليماً

صحيحاً، فقال عمر: إلى من نتحاكم؟ قال الرجل: إلى شريح بن الحارث الكندي، فعرضا على شريح الأمر فاستمع إلى الأعرابي، فقال لأمير المؤمنين عمر: هل أخذت الفرس سليماً يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: أجل، فقال شريح: أمسكها عليك أو ردها كما أخذتها، فقال عمر: وهل القضاء إلا هكذا؟ قول فصل وحكم عدل، سر إلى الكوفة فقد وليتك قضاءها.

- افتقد علي بن أبي طالب ﷺ درعاً حبيبة له، فوجدها في يد ذمي يعرضها للبيع في سوق الكوفة، فعرفها، فقال الذمي: بيني وبينك قاضي المسلمين شريح، فقال علي: أنصفت فهلم إليه، فلما جلسا في مجلس القضاء قال شريح لعلي: ما قولك يا أمير المؤمنين؟ قال: لقد وجدت درعي مع هذا الرجل، وكانت قد سقطت مني في ليلة كذا وفي مكان كذا، فقال شريح للذمي: وماذا تقول أنت أيها الرجل؟ قال: الدرع درعي وهي في يدي، فالتفت إلى علي وقال: لا بد من شاهدين على صحة ما ادعيت، فقال علي مولاي قنبر وولدي الحسن يشهدان لي... فقال شريح: شهادة الابن لأبيه لا تجوز، فقال علي سبحان الله!! أما سمعت قول رسول الله ﷺ: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة" فقال شريح: بلى يا أمير المؤمنين ولكني لا أجيز شهادة الابن لأبيه، فالتفت عندها علي إلى الذمي وقال: خذها فليس عندي شاهد غيرهما، فقال الذمي: أنا أشهد أن الدرع درعك، وأشهد أن الدين الذي يقاضى فيه الأمير ويقضى عليه لهو الحق، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، فقال علي ﷺ: أما وإنك قد أسلمت فخذها ومعها هذا الفرس.

- قال ابن شريح لشريح يوماً: إن بيني وبين قوم خصومة، فانظر إن كان الحق لي رفعتهم إلى القاضي، فقال له بعد أن قص عليه أمر الخصومة: اذهب فارفعهم إلى القضاء، فدعا الولد خصومه فلما جلسوا للتقاضي على شريح، قضى لهم على ولده، فقال الولد لأبيه في طريقهما إلى البيت: فضحتني يا أبت... والله لو لم أستشرك لما لمتك، فقال شريح: يا بني والله لأنت أحب إلي من ملء الأرض من أمثالهم ولكن الله عز وجل أعز علي منك، لقد خشيت إن أنا أخبرتك أن تصالحهم أن تفوت عليهم بعض الحق. وشريح إلى جانب ذلك يذكر الشهود في كل جلسة قضائية بقوله: اسمعوا مني هداكم الله... إنما أنتم الذين تقضون على هذا الرجل... وإني لأتقي النار بكم، وأنتم باتقائها أولى...وإن بإمكانكم الآن أن تدعوا الشهادة وتمضوا, ثم

يلتفت إلى الذين يشهدون له: اعلم يا أخي أنني أقضي لك بشهادتهم ولو كنت أرى أنك ظالم، لأني لا أقضي بالظن, وإنما أقضي بشهادة الشهود...(35). ومن هذه المواقف التي تؤسس الأسوة الحسنة وتشكل النموذج الأعلى موقف محمد بن سيرين مع عمر بن هبيرة والي بني أمية على العراقين حين سأله كيف تركت أهل بلدك يا أبا بكر؟ فقال محمد بن سيرين تركنهم والظلم فيهم فاش وأنت عنهم لاه فغمزه ابن أخيه بمنكبه, فالتفت إليه وقال: إنك لست الذي تسأل عنهم وإنما أنا الذي أسأل وإنما لشهادة ﴿ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ البقرة: ٢٨٣, ومن هذه المواقف موقف رجاء بن حيوة مع عبد الملك بن مروان حين أبلغه واش عن سوء طوية رجل على بني أمية, وأقواله وأفعاله فيهم, فقال عبد الملك: لأضعن السيف في عنقه, فأمكنه الله من الرجل وسيق إليه، فكاد يتميز لرؤيته غيظاً, فقال له رجاء بن حيوة: إن الله عز وجل قد صنع لك ما تحبه من القدرة فاصنع لله ما يحبه من العفو, فعفا عن الرجل وأطلق سراحه وأحسن إليه...(36).

- وفي العلم كان التابعون -رحمة الله عليهم- القدوة في الضبط والحفظ والرواية, قال الشعبي -رحمه الله-: (ما كتبت سوداء في بيضاء قط ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته ولا سمعت من امرئ كلاماً ثم أحببت أن يعيده علي)...(37)، وكان يقول: (لو أن أحداً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن فحفظ كلمة واحدة تنفعه فيما يستقبل من عمره لرأيت أن سفره لم يضع)... فالتابعون إذاً كانوا منارات تربوية يهتدى بها في جوانب الحياة المختلفة, ونماذج تتقمص وتحتذى في الخير والفضيلة, فمن تلقى عنهم بصورة مباشرة وأخذ عنهم نهجهم في الحياة وسلوكهم في مواقفها؟

4- الأئمة والحكماء والزهاد العارفون والمفكرون...(38): هذه فئة تمثلت ما وصلها عن رسول الله ﷺ في سلوكها ومعاشرتها للناس في المواقف كلها مع اختلاف في الدرجات وتباين في المنازل, فكانت قدوة زكية في الأدب بأنواعه: قال يونس الصدفي -رحمه الله-: (ما رأيت أعقل من الشافعي ناظرته يوماً في مسألة, ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي وقال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة)...(39)، وقال أحمد بن حفص السعدي:

سمعت أحمد بن حنبل –رحمه الله– يقول: (لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحق بن راهويه، وإن كان يخالفنا في أشياء فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً)، وقال الشافعي –رحمه الله– : (قدمت المدينة فرأيت من مالك بن أنس ما رأيته من هيبته وإجلاله للعلم فازددت لـــذلك أدباً حتى ربما كنت أكون في مجلسه فأريد أن أصفح الورقة فأصفحها صفحاً رقيقاً هيبة لـــه لئلا يسمع وقعها)...(41).

وبالأدب نفسه عومل الشافعي –رحمة الله عليه– جزاء وفاقا, قال الربيع بن سليمان: (والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي هيبة له)...(42).

قال حمدان بن الأصبهاني: (كنت عند شريك فأتاه بعض ولد المهدي فسأله فلم يلتفت إليه ثم أعاد فلم يلتفت إليه حتى جثا على ركبتيه فقيل له: أتستخف بأولاد الخليفة؟ قال: لا, ولكن العلم أكبر عند أهله من أن يضيعوه)...(43).

ومثال آخر لهذا الاعتزاز بالعلم والاحترام للفضل وأدب التحمل والخطاب هو مع الحافظ بن وارة الرازي (ت 270) فقد كان فيه زهو وخيلاء, فدخل على الشـــاذكوني أحـــد أئمـــة الحديث, فقال له: (من أي بلد أنت؟ قال: من أهل الري, ألم يأتك خبري؟ ألم تسمع بنبأي؟ أنا ذو الرحلتين, قلت: من روى عن النبي ﷺ: "إن من الشعر حكمة", فقال: حدثني بعـــض أصحابنا, قلت: من؟ قال: أبو نعيم وقبيصة, قلت: يا غلام ائتني بالدرة, فأتاني بها, فأمرتـــه فضربه بها خمسين, وقلت: أنت تخرج من عندي ومـــا آمـــن أن تقـــول: حـــدثني بعـــض غلماننا)...(44). وقال حبيب بن الشهيد لابنه: (يا بني اصحب الفقهاء والعلماء وتعلم منهم وخذ من أدبهم فإن ذلك أحب إلي من كثير من الحديث)...(45).

وقال الإمام مالك –رحمه الله–: (كانت أمي تعممني وتقول لي: اذهب إلى ربيعة فتعلم مـــن أدبه قبل علمه)...(46), غير أن هذا الأدب الرفيع والقدوة الفذة فيه لم يضيعوا بسببها القوة والشجاعة المطلوبة أي أنهم كانوا يزنون مقتضيات الخلق الخير بميزان دقيق متـــوازن معتـــدل متكامل لا يطغى فيه جانب على جانب ولا يغيب فيه جزء على حساب جزء آخر بـــل إن كل شيء فيه محسوب, يسعون فيه إلى الفضيلة والوسط، من ذلك ما روى عمر بن هياج بن سعيد قال: أتت امرأة يوماً شريكاً بن عبد الله قاضي الكوفة وهو في مجلس الحكم, فقالت: أنا

بالله ثم بالقاضي, قال: من ظلمك؟ قالت: الأمير موسى بن عيسى ابن عم أمير المؤمنين, كان لي بستان على شاطئ الفرات فيه نخل ورثته عن أبي, وقاسمت إخوتي, وبنيت بيني وبينهم حائطاً, وجعلت فيه رجلاً فارسياً يحفظ النخل ويقوم به, فاشترى الأمير موسى بن عيسى من جميع إخوتي, وساومني ورغبني فلم أبعه, فلما كان هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام وفاعل فاقتلعوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئاً واختلط بنخل إخوتي. فقال: يا غلام أحضر طينة...(47) فأحضرتها فختمها, وقال لها: امض إلى بابه بالختم حتى يحضر معك, فجاءت المرأة بالطينة فأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال: قد أعدى القاضي عليك وهذا ختمه. فقال: ادع لي صاحب الشرطة, فدعا به فقال: امض إلى شريك قل يا سبحان الله! ما رأيت أعجب من أمرك, امرأة دعت دعوى لم تصح أعديتها(48) علي؟ قال صاحب الشرطة: إن رأى الأمير أن يعفيني من ذلك, فقال: امض ويلك, فخرج وقال لغلمانه: اذهبوا وأدخلوا لي إلى حبس القاضي بساطاً وفراشاً, وما تدعو الحاجة إليه ثم مضى إلى شريك، فلما وقف بين يديه أدى الرسالة, فقال القاضي لغلام المجلس: خذ بيده فضعه في الحبس, فقال صاحب الشرطة: والله قد علمت أنك تحبسني فقدمت ما أحتاج إليه إلى الحبس, وبلغ موسى بن عيسى الخبر, فوجه الحاجب إليه وقال له: رسول أدى رسالة أي شيء عليه؟ فقال شريك: اذهبوا به إلى رفيقه, إلى الحبس, فحبس, فلما صلى الأمير موسى العصر بعث إلى إسحق بن الصباح الأشعثي وإلى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء القاضي شريك, وقال لهم: امضوا إلى القاضي وأبلغوه السلام وأعلموه أنه استخف بي وأنني لست كالعامة. فمضوا إليه وهو جالس في مسجده فأبلغوه الرسالة, فلما انقضى كلامهم, قال لهم: ما لي أراكم جئتموني في غثرة...(49) من الناس فكلمتموني؟ من هاهنا من فتيان الحي, فأجابه جماعة من الفتيان, فقال: ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به إلى الحبس ما أنتم إلا فتنة وجزاؤكم الحبس, قالوا له: أجاد أنت؟ قال: حقاً حتى لا تعودوا برسالة ظالم, فحبسهم. فركب موسى بن عيسى في الليل إلى باب السجن وفتح الباب وأخرجهم كلهم, فلما كان الغد وجلس شريك للقضاء جاءه السجان فأخبره, فدعا بالقمطر...(50) فختمه ووجه به إلى مترله وقال لغلامه: الحق بثقلي إلى بغداد, والله ما طلبنا هذا الأمر منهم ولكن أكرهونا

عليه, وقد ضمنوا لنا فيه الإعزاز إذ تقلدناه لهم, ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد، وبلغ الخبر إلى موسى فركب في موكبه ولحقه وجعل يناشده الله ويقول: يا أبا عبد الله تثبت, انظر إخوانك تحبسهم دع أعواني, قال: نعم, لأنهم مشوا لك في أمر لم يجز لهم المشي فيه, ولست ببارح أو يردوا جميعاً للحبس, وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين المهدي, فاستعفيته مما قلدني, فأمر موسى بردهم جميعاً إلى الحبس وهو واقف والله مكانه حتى جاءه السجان وقال له: قد رجعوا جميعاً إلى الحبس. فقال لأعوانه: خذوا بلجام دابته بين يدي إلى مجلس الحكم, فمروا بين يديه حتى أدخل المجلس وجلس في مجلس القضاء. فجاءت المرأة المتظلمة فقال: هذا خصمك وقد حضر, فقال موسى وهو مع المرأة بين يديه: قبل كل أمر أنا حضرت أولئك يخرجون من السجن, فقال شريك: أما الآن فنعم, أخرجوهم من الحبس, فقال: ما تقول في ما تدعيه هذه المرأة؟ قال: صدقت, قال: ترد ما أخذت منها وتبني حائطها سريعاً كما كان, قال: أفعل ذلك كله, قال لها أبقي لك عليه دعوى؟ قالت: بيت الرجل الفارسي ومتاعه، قال موسى بن عيسى ويرد ذلك كله، قال: أبقي لك عليه دعوى؟ قالت: لا وبارك الله عليك وجزاك خيراً. قال: قومي. فقامت من مجلسه, فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه في مجلسه وقال: السلام عليك أيها الأمير أتأمرني بشيء؟ فقال: أي شيء آخر؟ وضحك, فقال له شريك: أيها الأمير ذلك الفعل حق الشرع وهذا القول الآن حق الأدب, فقام الأمير وانصرف إلى مترله وهو يقول: (من عظم أمر الله أذل الله له عظماء خلقه)...(51).

- وفي الحرص على الوقت كانوا يقولون: (من علامة المقت إضاعة الوقت), أي أن مضيع الأوقات ممقوت عند الله غير محبب عند الناس, ذلك أنه غفل عن الله فمقته وأفسد على الناس أوقاتهم فكرهوه, فهو مغبون إن لم يكن ملعوناً لأن (من كان يومه كأمسه فهو مغبون ومن كان يومه شراً من أمسه فهو ملعون) .

قال الشاعر:

إذا مر بي يوم و لم أقتبس هدى و لم أستفد علماً فما ذاك من عمري

وقال أبو العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

وقال آخر:

لقد هاج الفراغ عليه شغلا وأسباب البلاء من الفراغ

وطبيعي أن يكون الدافع وراء ذلك حديث رسول الله ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ"...(52).

- وفي الجهاد والصبر على البلاء يطالعنا العز بن عبد السلام حين سجن, فيقول له أحد المشفقين عليه: لو اعتذرت إلى الحاكم؟ فيجيبه: أنا والله لا أرضى أن يقبل هؤلاء قدمي فكيف أعتذر إليه؟...(53).

وهذا السيد حين سجنه الحاكم وأراد أن ينفذ فيه حكم الإعدام ثم عرض عليه أن يكتب اعتذاراً ليعفو عنه يقول: (إن إصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية ليأبى أن يكتب كلمة واحدة يقر بها سلطاناً ظالماً ويردف قائلاً: إن كنت سجنت بحق فأنا أرضى بحكم الحق وإن كنت سجنت بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل)...(54).

وفي فلسطين كان المجاهدون نموذج العزة بالله والاستعلاء به, ففي عام 1929 حاول اليهود احتلال حائط المبنى والمسجد المجاور له, فقامت انتفاضة طهرت الخليل منهم وقدمت بين يديها (600) قتيل وجريح من رؤوس الشهداء, فارتفعت أصوات التكبير في الحرم الإبراهيمي ورددت الأمهات بصوت شجي (لقد كنا قبل اليوم نفرح عندما ننجب الولد أما اليوم ففرحنا عندما قدمناه شهيداً).

وقدم محمد فؤاد ومحمود جمجوم وعطاء الزير إلى المشنقة فهتفوا: (إن استمرار النضال أمانة في أعناقكم), وصدق المتنبي حين قال:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

وفي قوله :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وكان ابن باديس يقول: (العلماء من الأمة بمثابة القلب من الجسد), وكان يعي ما يقول ويترجمه إلى واقع حي في المواقف الصعبة فقد حاول مرة أحد علماء النظام الحاكم اغتياله وقبض عليه أتباع الإمام فعفا عنه وقال: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)...(55).

وبلغ الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي مبلغاً عظيماً من القدوة الحسنة في الصبر والحكمة جعل (قرصو) عندما بعثته(57) جمعية الاتحاد والترقي لمقابلته يقول عنه: (لقد كاد هـــذا الرجل العجيب أن يزجني بحديثه في الإسلام).

ولا غرو فهو الذي قال حين قدم إلى المحاكمة في 31 مارس 1909 بعد أن أعدموا على مشهد منه (15) مسلماً من رفاقه: (لو أن لي ألف روح لما ترددت في أن أجعلها فـــداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام... إن جريمتي هي أنني تصديت للرد على دعاة الماسونية و الإلحاد!!).

إنني أقول الآن: (كما أنه لا يناسب الشيخ الوقور أن يلبس لباس الراقصـــين كـــذلك لا يناسب اسطنبول أن تلبس أخلاق أوروبا).

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى استولى الإنجليز على اسطنبول عام 1919, ووجهـــوا ستة أسئلة إلى المشيخة الإسلامية, فوجهت المشيخة هذه الأسئلة إلى بديع الزمان ليجيب عليها بستمائة كلمة وفقاً لطلب الإنجليز فقال: (أن هذه الأسئلة لا يجاب عليها بســـتمائة كلمة ولا بست كلمات ولا بكلمـــة واحـــدة بـــل ببصـــقة واحـــدة علـــى أفـــواه السائلين)...(58).

- وفي الحفظ وقوة الذاكرة و إجلال العلم قال الشافعي -رحمة الله عليه-:

علـــمي معي أينمـــا يممت يتبعـــني في باطن الصدر لا في جوف صنـــدوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق
...(59).

وقال أبو عمرو الداني: (ما رأيت شيئاً إلا كتبته وما كتبت شيئاً إلا حفظته وما حفظتـــه فنسيته)...(60)

وقال أبو محمد بن حزم الأندلسي حين أحرقت كتبه:

دعوني من إحراق رق وكـــاغـــد وقولوا بعلم كي يرى الناس من يـــدري
فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمـــنه القرطـــاس إذ هـــو في صدري

وقال سيد محمد بن سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم: (إن علوم المذاهب الأربعة لو رمي بها في البحر لتمكنت أنا وتلميذي ألفغ الديماني من إعادتها دون زيد أو نقص هو يحمل المتون وأنا أمسك الشروح).

وقال الشيخ محمد عبد الله بن أحمذي: (ثلاث لا يعجز الرجل عنها: الطهارة المائية وحفظ النص وقول الحق في محله)...(61).

ولم يقف هؤلاء الأجلاء عند إعطاء المثال الأسمى في مجال تحصيل العلم وكسبه والعمل به في حياتهم الخاصة والعامة بل إنهم أعطوا المثال الرائع في تعليمه لمن لقيهم, والتأليف فيه حتي يتناول من لم يعش في عصرهم.

وسنكتفي هنا بأمثلة من الأعلام الموريتانيين وهم غيض من فيض بالنسبة لبقية العالم الإسلامي:

فقد تصدى باب بن أحمد بيب لمناظرة العلماء وهو ابن (13سنة), وانتصب يحظيه بن عبد الودود للتدريس وعمره اثنان وعشرون عاماً... وبلغت مؤلفات الشيخ محمد المامي ما يربو على "125" مؤلفاً منها عقده لخليل في "10.000" بيت, وألف الشيخ ماء العينين نفس العدد من المؤلفات...(62).

وإذا كانت هذه النماذج المتحركة ابتداء من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وانتهاء بالأعلام والعلماء الموريتانيين شكلت القدوة المشخصة والنموذج الواقعي، فإن هناك وسائل مادية لا تقل أهمية عن هذه في بناء القدوة وتأسيس المقال. فما هي؟

5- الإعلام المستنير أو النور الإعلامي: إن الجذور الأولى للإعلام المستنير نجدها في الرسالات السماوية التي تلقتها هذه الأرض...(63) وقد استكمل هذا الإعلام جوانب الكمال وأخذ طريق الخلود على يد قائد البشرية محمد ﷺ, فقد كان يتردد على أسواق العرب شرحاً للرسالة وتبياناً للدعوة وإعلاماً بالهدي الرباني وتبشيراً بخلاص البشرية.

ويرد على الإعلام المعادي بما يناسب فترة ومحتوى, فقد كان يقول لحسان رضي الله عنه: "اهجهم وروح القدس معك" عندما هجاه المشركون وآذوه وسبوا دعوته بألسنتهم, فانبرى لها حسان وكان يرددها عالية:

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره ســـواء
فإن أبي ووالـــده وعـــرضي لعرض محمد منكم وقاء
لساني صـــارم لا عيب فيـــه وبحري لا تكدره الدلاء

وقد اتخذ الإعلام صوراً شتى في هذه الفترة كالبلاغ قال تعالى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ المائدة: ٩٩, والدعوة ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ يوسف: ١٠٨, والأذان والخطب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الجمعة: ٩, والرسائل إلى الملوك...

لقد ظل الإعلام...(64) يعتمد على الكلام والكتابة اليدوية إلى أن ظهرت الطباعـــة في القرن 15م فانتشرت بموجبها المجلات والجرائد والصحف, بحيث بلغ عددها في أوروبا في القرن 19م "140" صحيفة ما بين أسبوعية ويومية ودورية, غير أن الإعـــلام لم يبلـــغ الذروة ويشتد ساعده إلا بظهور الإذاعة سنة 1920م والتلفزيون سنة 1936م اللـــتين كان لهما أكبر الأثر في تقرير مصائر الدول أفكاراً وأخلاقاً, وأصبحنا أمام أعصر الصحافة المقروءة والمسموعة والمنظورة, فقد جعلت الحكومات المعاصرة للإعلام وزارة قائمة بذاتها وزودتها بأحسن الكفاءات العقلية وأضخم الميزانيات وأدق السياسات والخطط الإنمائيـــة, إذ نجاح الاقتصاد والدفاع والصحة والتربية... مشروط بنجاح الإعلام وتـــوفير أمهـــر العقول, فالكلمة هي الأداة السحرية التي تغير وجه التاريخ, إنها المنجم الذي تستخرج منه الأفكار العبقرية, فالكلمة الفصيحة البليغة والمميزة بأدق فنون التعبير هي الـــتي تســـتقل بتوجيه العقل والذوق والسيطرة على الفؤاد, ولذا فإن البشرية حين بلغت نضجها العقلي وحققت وعيها الروحي والذوقي دعيت إلى الهداية والرشد والإنشاء والتعمير عبر الكلمة المعجزة (القرآن الكريم) التي هي الكلمة الموثوقة والقوة الجاذبة, بحيث أن الوحي الإلهي قد تحدى المعارضين والمشككين أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بسورة من سوره أو بآيـــة مـــن آياته(65) ذلك أن هذا القرآن نزل على محمد ﷺ ليكون بمثابة النموذج الإعلامي الأكبر

الذي يخاطب العقول ويحرك النفوس ويتغلغل في الأفئدة إذ أن الإعجاز القرآني يتناسب طردياً مع ازدياد الدراسات المتعلقة بالعبارة القرآنية بحيث تتكشف ألوان الإعجاز الذي يجمع الذوق والتوازن والفكر الدقيق والخيال المثير والواقعية الموزونة والتطابق التام بين المعنى والكلمة والتحقيق الكامل لغرض التنزيل, فحقيقة الإعجاز في القرآن هي الحقيقة الإعلامية في صورتها الخالدة الباقية الضامنة وحدها للم الشتات وتحقيق كيان الأمة ووحدتها, فخطورة الكلمة في كونها أداة صالحة لطرح القضايا الملحة التي تلفت اهتمام السامع والمشاهد والقارئ... ومن هنا يكون الصدق والموضوعية والالتزام عوامل إيجابية في التمكين للإعلام، فليس أخطر على العمل الإعلامي من أن تتناقض الأقوال والأفعال أي أن تتناقض القدوة الإيجابية والمثال الأسمى, إذ أن ذلك يعني مباشرة ترديه في الجانب المقابل وهو القدوة السيئة أو المثال الهابط فالذين يتخذون مواقف مناوئة لإعلام معين قد خضعوا لمجموعة من الأكاذيب والأوهام والأساطير بثها هذا الإعلام أو بثت باسمه... إن في وسع الإعلام الموضوعي الذي يتعامل بمقاييس الاستقامة وموازين الموضوعية مع الصديق والعدو, مع المؤمنين وغير المؤمنين... أن ينتزع الثقة من قبل الكثيرين من المضللين, وأن يغزو قلوب رجال ونساء لا يعادون عن مكابرة وعناد بل عن جهل وضلالة, وذلك واجب الإعلام الإسلامي... لكن لابد أن يعي أنه لا يحقق الغرض المطلوب منه حين يقف نشاطه عند الإذاعة والتلفزيون والصحافة بل لا مناص من وضع خطة للتنسيق الشامل بينه وبين كل الأنشطة الفكرية والفنية والتربوية في البلاد, بحيث يتم استيعاب كل الفعاليات المتصلة بالعقل والقلب والسلوك... فلا يحدث شيء إلا في ضوء هذه الخطة دراسة كان أو تأليفاً أو نشاطاً أو منهجاً... فللإعلام الإسلامي طبيعته الخاصة ذلك أن للإسلام طريقته في التفكير والعيش والتعامل باعتباره فلسفة كاملة, قاعدتها الإيمان بالله وبرسوله, وقمتها الالتزام بسلوك وآداب تصلح الدنيا وترضي الله تعالى, فالفوز في تحقيق التعبئة الإعلامية الداخلية للأمة هو حجر الزاوية في البنية الحضارية الإسلامية لذا فإنه يتعين على الحكومات والمنظمات الإسلامية القيام بحرب دعائية بأساليبها المادية والنفسية لإحداث تغيير اجتماعي نحو المثل الإسلامي الأعلى...(67).

إن وسائلنا الإعلامية يجب إصلاحها وإعادة تنشيطها حتى تحل محل التأثير البالغ والسيطرة الكاملة للوكالات الأجنبية بحيث يوجد نشاط شامل لوكالة الأنباء الإسلامية هدفه إرساء العدل والإحسان بين الناس والاهتمام بالإحسان في كل شيء والنهي عن المنكر والابتعاد عن الفحشاء, وهو ما يساعد بصورة حتمية على تصويب نظم التعليم وتطوير نظم بناء الشخصية الإسلامية السوية, وبالتالي تقديم النموذج الأعلى والقدوة الحسنة الفعالة والمؤثرة في تغيير الواقع, إذ ليس الإعلام مجرد وسيلة للثقافة والفنون أو الإعداد والتنمية أو التجارة والإعلان بل هو السبيل إلى إعداد مجتمع القوة وأفراد القدوة الصالحة.

فهل للعادات الخيرة التي يتلقاها السمع والبصر وتتقمصها الجوارح ويركن إليها القلب، وتريح الذهن أثر مشابه في بناء القدوة؟ وكيف يتم ذلك من خلالها؟

6- العادة الخيرة أو التقليد الزكي: من معاني التقليد في اللغة المتابعة للغير من غير فكر ولا تدبر, يقال: فلان قلد فلاناً أي فعل مثل ما يفعل دون إدراك كنه هذا الفعل وما ينجم عنه سلباً أو إيجاباً, والتقليد يعود إلى غريزة متأصلة في الكيان البشري يبني عبرها في صغره العادات والأعراف والمعارف, وهي واضحة في أطوار الحياة الأولى خفية نوعاً ما في الأطوار المتقدمة منها, ذلك أنا كلما ارتفعنا في سلم الرشد والكمال أخذت صفات الاستقلال والتدبر والمعرفة تنحي التقليد غير الواعي شيئاً فشيئاً, وهو ما يؤسس للتقليد المحمود الذي يميز بين الغث والسمين بين الضار والنافع ويأخذ بأسباب القوة ونقاط الخير في الغير دون أن ينسلخ من ذاتيته أو يبتلع كل ما يشاهد, مبتعداً من تقليد الغلبة الذي يقول فيه ابن خلدون: (فصل في أن المغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده, وسبب ذلك أن النفس تعتقد الكمال في من غلبها فتنقاد له) ...(68).

أما التقليد الزكي فهو ما يتم بوعي كامل يكون بمقتضاه المقلد ناقداً بصيراً ومتشبهاً بارعاً:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح.

غير أن قدرة الأطفال على التمييز بين الخير والشر محدودة جداً لذا كان على الأب أن يكون قدوة صالحة لابنه, وعلى الأم أن تكون كذلك لابنتها وعلى المعلم أن يكون النموذج المثالي لتلاميذه, ويوجههم إلى الاختلاط بالصلحاء والابتعاد عن السفهاء والاقتداء بالأكابر والفضلاء(69), فالأمر إذا تكرر صورة كان أو حركة أو كلمة يسهل امتصاصه ودخوله إلى دائرة الفكر والحركة ثم إذا تكرر فعله استحكم وصار يؤدى بصورة آلية, وأكثر أعمال الإنسان من قبيل الكسب بالتكرار أو العادة مثل: المشي والجري وطريقة الكلام واللباس... فبحصول الميل النفسي والتكرار العملي تحصل العادة, وهي مهمة وخطيرة, فقد تفعل فعلها السيء إذا كانت تقليداً لأناس سفهاء أو عادات غير زكية, كما أنها قد تطوي المسافات في طريق المقاصد النبيلة إذا كانت تقليداً لأسوياء أو عادات خيرة كالصلاة والصوم والإنفاق والأمر بالمعروف... ذلك أن من خصائصها تسهيل العمل وتوفير الزمن والانتباه, فهي طبيعة ثانية تكسب نمطاً خاصاً من الأفكار والميول والحديث(70).

فينبغي أن يعود الطفل على آداب الإسلام وشعائره عبر القدوة والتلقين والمتابعة والتوجيه لينمو فيه ميل إلى الخير ونفور من الشر وينضبط سلوكه وفق آداب الإسلام ومقتضياته فيهفو إلى تقليد الخير وأصحابه وينكب عن تقليد الشر وأتباعه, وعندها يستفيد من الكسب التراكمي, ويتربى بالقدوة الصالحة, ذلك أن العادة لا غنى عنها لاتساع الجهد البشري, إذ العادة خبرة قديمة تسمح باكتساب عادات جديدة على الدوام, وإلا فلو أن الإنسان ظل يبذل في كل عملية من عملياته الجسدية أو الشعورية أو الذهنية ذات الجهد الذي يبذله فيها أول مرة, وهو يتعلمها أو يجربها لأول مرة فسيظل يراوح بين نفس العمليات لا يتجاوزها إلى غيرها, ولكن الله يسر للفطرة البشرية طريقها بأن جعل في الإنسان القدرة على امتلاك الأشياء بالعادة والتعود على المستجدات حتى يستطيع القيام بمهمته الضخمة التي خلق لها وهي مهمة الخلافة في الأرض، فهو يمارس النشاط أكثر من مرة بانتظام معين وبمجرد أن تتحول الخبرة الجديدة إلى عادة ينطلق الجهد العصبي الذي كان مخصصاً لها ليعمل في ميدان جديد، وحتى لو أهملنا العادة المكتسبة لبعض الوقت فإننا

بجهد بسيط نزيح ما علاها من الركام أحياناً أو نستعيدها دون أي جهد إذا كانت قد ترسخت بشكل قوي أحياناً أخرى, ففي الموعد المحدد أو المناسبة المعينة تنبعث الإشارة التي تستدعي الخبرة من مكمنها فتمارس في وقتها وشكلها وإلا أحس الإنسان بالقلق أو التعب أو التوتر النفسي أو العصبي, فالعادة تتكون داخل النفس حتى تصبح ضرورة لا بد من أدائها في موعدها أو مناسبتها, وتكوين العادة في الصغر أيسر بكثير من تكوينها في الكبر ذلك أن الجهاز العصبي للطفل أكثر قابلية للتشكيل, ولأجل ذلك يأمر الرسول ﷺ بتعويد الأطفال على الصلاة قبل موعد التكليف قال ﷺ: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر" أبو داود(71).

والقدوة الصالحة من أعظم المعينات على تكوين العادات الطيبة, ذلك أنها تيسر الجهد وتدفع إلى التقليد والمحاكاة اللذين يعيهما الطفل ويقوم بجملة نشاطاته من خلالهما, وهذه القاعدة لا تختل إلا بفعل الوراثات والظروف السيئة التي تحتاج مزيداً من الجهد للتغلب عليها, واستبدال صورها ورواسبها بالعادات الخيرة والمعاني الكريمة, فتعويد الطفل مثلاً على تنظيم أشيائه وترتيبها أمر ضروري ولازم, قد يصنعه تلقائياً نتيجة وراثات طيبة أو قدوة صالحة يراها, فإن لم يصنع ذلك تلقائياً وجب تشجيعه بالوسائل الحسية, والمعنوية كالإشادة بنظافته وترتيبه ونظامه, فإن لم يجد ذلك فلابد من الأمر ومتابعته حتى ينفذ ثم مداومته حتى يصبح عادة فإذا لم ينفذ الأمر أو احتاج إلى رقابة دائمة فلابد من الحسم حتى ولو أدى ذلك إلى العقوبة بكل درجاتها, ونفس القاعدة نتبعها في العادات السيئة التي يراد تبديلها أو الكف عنها(72) ومنهج التربية الإسلامية في ذلك مستمد من الوحي الرباني كتاباً وسنة, يهدف إلى تحويل المشاعر والأفكار والنيات الطيبة إلى عمل له وجود واقعي وإلى سلوك عملي مؤثر في واقع الحياة, والوسيلة إلى ذلك عادة عميقة الجذور في النفس كما تم في الرعيل الأول, غير أنه بقدر لزوم العادة وضرورتها في التربية لإقامة مجتمع ذي طابع سلوكي محدد, وبقدر ما تيسر من السلوك العملي وتختزل من الجهد يكون لها خطورة تحويل السلوك إلى أداء آلي خال من الإحساس بالقيم الحقيقية التي هي الرصيد الواقعي لذلك السلوك والتي لا يساوي السلوك شيئاً إن فقدها ولو بدا جميل

الصورة مثيراً للإعجاب(73) فالعادة على عظم مهمتها في الحياة تنقلب إلى عنصر معوق ومعطل إذا فقدت كل ما فيها من وعي وأصبحت أداء آلياً لا تلتفت إليه النفس ولا ينفعل به القلب, والإسلام يستخدم العادة وسيلة من وسائل التربية فيحول الخير كله إلى عادة تقوم بها النفس بغير جهد ولا كد ولا مقاومة وفي الوقت ذاته يحول دون الآلية الجامدة في الأداء بالتذكير الدائم بالهدف وراء العادة, والربط الحي بين القلب البشري وبين الله تعالى(74) فعلى المربي أن يستشعر القيم والمبادئ والمعاني أثناء أداء مختلف أنواع السلوك وخاصة أثناء الصلاة باعتبارها عنوان الإسلام ويوجه الطفل إلى ذلك من خلال تبصيره بأن كل العادات الإسلامية تشكلت هكذا لأن الله تعالى أمر بها هكذا, وأنها تراد لوجه الله تعالى الذي يجزي بالحسنة على فعلها وبالسيئة على تركها, فبقدر استشعار الله تعالى والإحساس برقابته واليقين بعلمه تكون أهمية الفعل العادي أو العادة الخيرة, وبالتالي رصيد التربية في دنيا الواقع وفاعليتها في النفس وهو سر المثالية التي سجلتها جماعة الرسول ﷺ في تاريخ البشرية كله لما كانت عليه من ذكر دائم لله تعالى وإحساس حي بوجوده وتحل دائم بالخشية والتواضع طلباً لرضاه, حتى صارت النموذج الكامل والأسوة الحسنة للبشرية جمعاء، فهل يعني هذا أن القدوة الحسنة تكسب المجتمع آثاراً محددة ونتائج حتمية؟ و ما هي هذه النتائج أو الآثار؟

ثانياً: نتائج أو آثار القدوة الحسنة: إن سيادة القدوة الحسنة في مجتمع ما قضية لها آثارها الحتمية ونتائجها اللازمة التي يمكن أن تختزل ضمن النقاط التالية:

- أن يصير المجتمع في عمومه مسلماً عميق الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر, الدين فيه حياة الناس وروحهم تبتلاً وأخلاقاً وتصوراً واهتماماً وقيماً وروابط اجتماعية ونظاماً اقتصادياً.
- أن يتحقق في المجتمع المعنى الحقيقي للأمة الذي يتجاوز مجموعة من البشر تنتظمهم أرض ولغة ومصالح إلى الروابط العقدية ذات الأثر القوي في رص الصفوف وبناء التعاون ونسج رباط المودة.

– أن يقوم المجتمع على قاعدة أخلاقية صلبة ومكينة تتناول السياسة والاقتصاد والاجتماع والفكر والتعبير بحيث تقوم علاقات الناس على الصدق والأمانة والإخـــلاص والتعـــاون والحب...

– أن يصير المجتمع مشغولاً بمعالي الأمور, ومجنداً للعمل في كل اتجاه وميدان لا يعـــرف الفراغ, مستبشراً بحكم الله تعالى.

– أن يغيب في المجتمع الاستبداد السياسي وما يصاحبه من تصور مغلوط وانتشار للبـــدع والمعاصي والخرافات.

– أن يعالج المجتمع ما أصاب الأمة في فترة انتكاسها بالعودة إلى الإسلام الـــذي فيـــه الحل الكامل لمشكلات البشرية برمتها في ضوء الفهم الواعي للتكامل بين الغيب والشهادة, والانطلاق من الوحي والعقل والكون في رؤية الكون وقضاياه(75) فيتسلح أفراد المجتمع بالعلم النافع والعمل الصائب والخلق الرفيع والإنتاج الهادف والاحتمال الـــواعي والبـــذل الموفق والصبر المتبصر والحلم المستعلي والحكمة المتأنية والعفة الرزينة والاحتشام المنضـــبط والحصافة الرشيدة والاستقامة الشجاعة والعفو الكريم والتغيير الأصيل والتجاوز المحمـــود والتطوير المدروس والانفتاح المحسوب والتخطيط السليم والتقليد الواعي والتعاون الأمـــين والأخوة الصادقة... وإذا كانت هذه خطوات الموكب الراشد وأدواته وآثاره، فكيف كان موكب الغي يترصده؟ وما علة هبوطه وتقوقعه في الدركات السفلى وحمله لواء القـــدوة السيئة والمثال الهابط؟

هوامش الفصل الثالث

1- الأسوة الحسنة/ د. عصام البشير/ محاضرات بالجامعة السودانية (أم درمـــان)/ 1984/ الشريط الأول.

2- تربية الأولاد في الإسلام/ م.س.ذ/ ج2/ ص: .635

3- التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح/ الزبيـــدي/ دار النفـــائس/ ط5/ 1992/ ص:.60

4- تربية الأولاد في الإسلام/ م.س.ذ/ ج1/ ص: .643

5- مناهج التربية الإسلامية/ م.س.ذ/ ج1/ ص:.182

6- زاد المسلم في ما اتفق عليه البخاري ومسلم/ م.س.ذ/ ج3/ ص:.175

7- تربية الأولاد في الإسلام/ م.س.ذ/ ج2/ ص: .639

8- فلسفة المعرفة في القرآن/ م.س.ذ/ ص:.217

9- فتح الباري على صحيح البخاري/ م.س.ذ/ ج9/ ص:.187

10- التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح/ م.س.ذ/ ص:.218

11- مناهج التربية الإسلامية/ م.س.ذ/ ج2/ ص:.178

12- فتح الباري على صحيح البخاري/ م.س.ذ/ ج1/ ص:178.

13- بحث بعنوان الرياضة في الإسلام/ د. الصوفي بن محمد الأمين/ دروس المدرسة العليـــا (1996/1995)/ مرقونة/ ص:.7

14- اختصار غزوات سيلوم/ محنض بابه بن أمين/ مخطوط.

ونص الاستشهاد:

فقال بل قتلني محمد وقول ذاك كنت منه أعهد

والله لو علي مرة بصق لمت من بصقته لما سبـــق

ولو على أهل الحجاز قسما ما بي لمات كلهم وقصما

15- إحياء علوم الدين/ أبو حامد الغزالي/ دار المعرفة / بيروت/ ط1/ 1964/ ج1/ ص: 217.

16- الإيضاح في تاريخ الحديث وعلم الاصطلاح/ سعدي ياسين/ المكتب الإسلامي/ بيروت/ ط1/ 1981/ ص:.146

17- التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح/ م.س.ذ/ ص:341.

18- تربية الأولاد في الإسلام/ م. س.ذ/ ج2/ ص: .651

19- - زاد المسلم في ما اتفق عليه البخاري ومسلم/ م.س.ذ/ ص:.278

20- فأنزل الله تعالى في شأن أبي وأبيه قرآناً: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة 22).

21- سير أعلام النبلاء/ الذهبي/ دار الشروق/ بيروت/ ط2/ 1992/ ج2/ ص:187.

22- الإيضاح في تاريخ الحديث وعلم الاصطلاح/ م.س.ذ/ ص:.178

23- صور من حياة الصحابة/ د. عبد الرحمن رأفت الباشا/ إدارة التصميم بوزارة المعارف/ المملكة العربية السعودية/ 1990/ ص:.73

24- التابعي من لقي الصحابي مؤمناً بالله تعالى ورسوله ﷺ ومات على ذلك.

25- في ظلال القرآن/ سيد قطب/ دار الشروق/ بيروت/ ط7/ 1980/ ج6/ ص:.3860

26- صفة الصفوة/ م.س.ذ/ ج2/ ص:.241

27- البداية والنهاية/ ابن كثير/ دار الشروق/ بيروت/ ط7/ 1978/ ج9/ ص:47.

28- الشهيد الحي/ الخالدي/ دار الشروق/ بيروت/ ط1/ 1978/ ج9/ ص:.83

29- وفيات الأعيان/ ابن خلكان/ دار الفكر/ بيروت/ ط5/ 1979/ ج2/ ص:.292

30- سلوك الأدب جمال الحياة/ محمد بن عقيل موسى/ دار الأندلس الخضراء/ جدة/ ط1 / 1994/ ص13.

31- سلوك الأدب جمال الحياة/ م.س.ذ/ نقلاً عن لباب الآداب/ ص:.234

32- سلوك الأدب جمال الحياة/ م.س.ذ/ نقلاً عن لباب الآداب/ ص:.3

33- مدينة بين البصرة والكوفة.

34- صور من حياة التابعين/ د. عبد الرحمن رأفت الباشا/ إدارة التصميم بوزارة المعـــارف/ المملكة العربية السعودية/ 1992/ ص:.37

35- صور من حياة التابعين/ م.س.ذ/ ص:.47

36- صور من حياة التابعين/ م.س.ذ/ ص:.120

37- الأئمة جمع إمام وهو المقتدى به في الدين, والحكماء جمع حكيم وهو الصائب السديد في رأيه والرشيد المتقن في تدبيره, والزهاد جمع زاهد وهو الراغب في ما عند الله تعالى المعرض عن زهرة الدنيا ومتاعها, والعارفون جمع عارف وهو المراقب لله في سره وعلنه بعين بصيرته, والمفكرون جمع مفكر وهو المستنبط لمقاصد الوقائع والمتتبع لمغازي القضايا الشرعية.

38- سلوك الأدب جمال الحياة/ م.س.ذ/ ص:.51

39- صفة الصفوة/ م.س.ذ/ ج3/ ص:.57

40- سلوك الأدب جمال الحياة/ م.س.ذ/ ص:.57

41- صفة الصفوة/ م.س.ذ/ ج3/ ص:.59

42- وفيات الأعيان/ م. س.ذ/ ج2/ ص:.278

43- سلوك الأدب جمال الحياة/ م.س.ذ/ ص:.72

44- سلوك الأدب جمال الحياة/ م.س.ذ/ ص:.73

45- صفة الصفوة/ م.س.ذ/ ج3/ ص:.79

46- سلوك الأدب جمال الحياة/ م.س.ذ/ ص:.79

47- الطينة: قطعة من الطين اللزج ينجلي عليها الخاتم.

48- أعدى عليك: جعل للمرأة حقاً في المطالبة والادعاء فوجب لذلك حضور الأمـــير إلى مجلس القضاء.

49- الغثرة: الجماعة المختلطة من الغوغاء.

50- القمطر: الوعاء الذي تحفظ فيه الكتب.

51- سلوك الأدب جمال الحياة/ م.س.ذ/ ص:.90

52- الوقت في حياة المسلم/ القرضاوي/ دار المعرفة/ الدار البيضاء/ ط1/ 1984/ ص:.11

53- الأسوة الحسنة/ م.س.ذ/ الشريط الأول.

54- كيف نستوحي الإسلام/ سيد قطب/ مكتبة وهبة/ ط1/ 1981/ص:.17

55- القيادة في العمل الإسلامي/ م.س.ذ/ ج2/ ص:.158

56- هو بديع الزمان النورسي ولد عام 1873 في قرية صغيرة من قرى تركيا من أبوين كريمين, طلب العلم في التاسعة من عمره بين مختلف المدارس المبثوثة حوله في القرى والأقضية ولم يتم ثمانية عشر عاماً حتى أصبح في عداد فحول العلماء, فصار يلقب (سعيد مشهور) كان زاهداً متقشفاً شديد التواضع, وكان يحرص على تعلم الرياضة والمصارعة ويأخذ نفسه بأساليب القوة كالرمي وركوب الخيل, لا يخاف ولا يتردد, وتوفي في 27/رمضان/1379هـ.

57- أول صهيوني ماسوني عمل على قلب الخلافة الإسلامية واستلاب فلسطين.

58- القيادة في العمل الإسلامي/ م.س.ذ/ ج2/ ص:.335

59- المنارة والرباط/ الخليل النحوي/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم/ ط1/ 1990/ ص:.178

60- وفيات الأعيان/ م. س.ذ/ ج2/ ص:.238

61- المنارة والرباط/ م.س.ذ/ ص:.246

62- المنارة والرباط/ م.س.ذ/ ص:.248

63- القيادة في العمل الإسلامي/ م.س.ذ/ ج2/ ص:.275

64- الإعلام حاجة من الحاجات الأساسية انتشر في الماضي عن طريق المخاطبة والإشارة والرمز فقد كان سكان الإمبراطورية الرومانية يطلعون على الأخبار والإعلانات الرسمية بقراءة بعض اللوحات المنشورة أوالمحفورة على الجدران, وقد ظهرت الأخبار المكتوبة في الصين ما بين عامي (618م-907م) وعمت في القرنين (13م-14م) ونشرت أول صحيفة مطبوعة في إيطاليا عام 1470م.

65- الإعلام الإسلامي والعلاقات الاجتماعية/ الندوة العالمية للشباب الإسلامي/ الريـــاض/ ط3/ 1976/ ص:.47

66- الإعلام الإسلامي والعلاقات الاجتماعية/ م.س.ذ/ ص:.63

67- تاريخ الصحافة الإسلامية/ أنور الجندي/ دار الأنصار/ ط1/ 1984/ ص:.19

68- التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية/ م.س.ذ/ ص:.81

69- كتاب الأخلاق/ أحمد أمين/ دار الكتاب العربي/ بيروت/ ط3/ 1925/ ص:.31

70- الوعي الإسلامي/ السنة 17/ العدد:195 يناير 1981/ مقال للأستاذ عبد الكـــريم الخطيب/ ص:.6

71- مناهج التربية الإسلامية/ م.س.ذ/ ج2/ ص:.145

72- وطريقة الإسلام في إزالة العادات السيئة واستبدالها بالعادات الخيرة حاسمة فوريـــة إذا تعلقت بالمشاعر الفردية كالكذب والغيبة ومتدرجة متراخية إذا ارتبطت بأبعـــاد اقتصـــادية اجتماعية متشابكة كالخمر والزنا.

73- مناهج التربية الإسلامية/ م.س.ذ/ ج2/ ص:.150

74- مناهج التربية الإسلامية/ م.س.ذ/ ج1/ ص:.201

75- كيف نكتب التاريخ الإسلامي/ محمد قطب/ دار الشروق/ ط1/ 1984/ ص:178

الفصل الرابع

القدوة السيئة أقطابها وآثارها

- روادها الأولون
- أصنافها
- تأثيرها على العالم الإسلامي
- آثارها ونتائجها

القدوة السيئة أقطابها وآثارها

إن تاريخ القدوة السيئة أو المثال الهابط يعود إلى نفس التاريخ الذي عرفت فيه الأرض القدوة الصالحة, أي أنهما نموذجان وجدا بالتزامن وتعايشا بالتوازي وتصارعا في مواقف الحياة المختلفة, وكما قاد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ومن سار على دربهم من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم والمربين المصلحين قافلة القدوة الحسنة, فكذلك قاد الشياطين ومن سار على دربهم من فراعنة الأمم وطواغيت وأذناب الشر قافلة النموذج الهابط, فإبليس اللعين أول مؤسس لهذه القدوة السيئة وطواغيت العالم من لدن قابيل إلى قوم نوح وهود وصالح وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أقول أولئك الطواغيت هم أتباع إبليس الغاوون الذين نشروا مبادئه وقيمه وروجوا لمذهبه عبر التطبيق العملي مستغلين أساليب الإغواء والتضليل والتخويف والترغيب مخططين له في السر تارة ومعلنين له وبه مجاهرين تارة أخرى.

وما دامت حقيقة القدوة السيئة هي هي ومبادؤها وأساليبها مكراً ومراوغة وتمويهاً لم تتغير ولم تتبدل وإن تنوعت الأوجه وأحكمت الخطط واستنفدت الأساليب فإننا سنتناولها من خلال الجوانب والصور التي تمس التربية من بعض الجوانب أو تطغى عليها في جوانبها كلها أحياناً, فما هي هذه الأشكال؟ وكيف استطاعت التغلغل إلى تربيتنا؟ بل وكيف صارت هي الموجه الأول لها؟

أولاً: أشكال وأصناف النموذج الهابط في العصر الحديث: إن أشكال وأصناف النموذج الهابط في العصر الحديث تعود أصولها وجذورها إلى ما قبل الإسلام, غير أنها كشفت عن وجهها وسفرت في معاملاتها وملكت مفاتيح الإدارة وقلوب المستضعفين في الوقت الراهن, وسعى كل قطب من أقطابها إلى إقصاء الإسلام فتجمعت جهودها في هذا الاتجاه تتقدمها:

أ- مخططات الشيوعية: في إحدى الوثائق السرية الخطيرة التي نشرتها مجلة كلمة الحق في شهر محرم سنة 1387هـ الموافق لنيسان سنة 1967م أعد الشيوعيون في موسكو مخططاً رهيباً موجهاً إلى بلدان الشرق العربي لتنفيذه وجاء فيه:

1- بالرغم من مرور خمسين سنة على الاشتراكية وضربها الإسلام بيد من حديد فقد صرحت (مجلة العلم والدين) الروسية الصادرة 1/1/ 1964 بأن مبادئ لنين لم تتشربها دماء

المسلمين وأن الاتحاد السوفييتي يواجه تحدياً إسلامياً كبيراً..., إن ملايين من الجيل الجديد يعتنقون الإسلام ويجاهرون بتعاليمه.

2- تنبغي مهادنة الإسلام ليتم التغلب عليه بحكمة غير أنها مهادنة مؤجلة, بضمان السيطرة واجتذاب الشعوب العربية الاشتراكية, وتشويه سمعة رجال الدين والحكام المتدينين, واتهامهم بالعمالة بالأسلوب الذي لا ينم عن معاداة الإسلام.

3- تعميم دراسة الاشتراكية على جميع الأعراق وفي كافة المعاهد والمدارس والكليات وعبر مختلف المراحل الدراسية, بما يضمن إزاحة الإسلام ومحاصرته وزعزعة الثقة في رجال الدين في كل قطر إسلامي, مع الحيلولة التامة دون قيام حركات دينية في البلاد, مهما كان شأنها ضعيفاً, والعمل الدائم بيقظة لمحو أي انبعاث ديني بل وضربه بعنف لا رحمة فيه, ولو أدى ذلك إلى الإبادة الكاملة(1).

4- تشجيع مهاجمة الدين والتركيز على تقطيع الروابط الإسلامية والحجر عليها واستبدالها بالروابط الاشتراكية, وإشاعة فكرة أن الإسلام قد انتهى عصره, والوعي بأن الدين لا يتم هدمه بهدم المساجد والمعابد إذ الدين مكمنه الضمير والمعابد مظهر من مظاهره الخارجية, فلابد إذن من هدم الضمير الديني في المؤمنين, بعد أن نجحنا في امتلاك الحكم وتكريس السيطرة والسيادة عبر القصص والمسرحيات والمحاضرات والصحف والأخبار والمؤلفات التي تروج للإلحاد, وتهزأ بالدين ورجاله وتجعل الحاكمية للعلم وحده.

5- خداع الجماهير بأن محمداً ﷺ إمام الاشتراكيين فهو فقير وأتباعه فقراء, وقد حارب الأغنياء المحتكرين والإقطاعيين والمرابين..., وعلى هذا النحو نشكل تصور الجماهير عن الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم, ونبعد صورة القداسات الروحية والوحي والمعجزات عن الأنبياء حتى نجعلهم بشراً عاديين ونقضي على أثرهم في النفوس, ونؤطر ذلك بتفسير القصص القرآني تفسيراً مادياً تاريخياً... فقصة يوسف عليه السلام يمكن أن نستفيد منها في تعبئة الشعور ضد الرأسماليين والإقطاعيين والنساء الشريفات والحكام الرجعيين(2).

6- شغل الجماهير بالشعارات والتنظيمات والمحاضرات المذهبية الاشتراكية والوعود المستمرة برفع الإنتاج ومستوى المعيشة, وإلقاء مسؤولية التأخر الاقتصادي والجوع والفقر والمرض

على الرجعية ورجال الدين, واستخدام الدين لهدم الدين من خلال أداء الزعماء الاشتراكيين لبعض الفرائض الدينية الجماعية تضليلاً وخداعاً, مع التأكيد على أن الاشـــتراكيين يؤمنـــون بالدين الصحيح (الاشتراكية), وأن ما عداها من الدين أفيون وخرافة, وخطايا رجال الـــدين والدراويش هي الترجمة الحقيقية لهذا الأفيون.

7- تسمية الإسلام الذي تستخدمه الاشتراكية لبلوغ مآربها وتحقيق غاياتها ديناً صـــحيحاً وديناً شورویاً وديناً متطوراً ودين مستقبل تخليطاً وتأسيساً لاستبدال المفاهيم الإسلامية بمفاهيم شيوعية حتى يتم تجريد الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ من خصائصه ومعالمه, والاحتفاظ باسمه حتى لا ننفر العرب المسلمين بطبيعتهم من الاشتراكية ونسهل الطريق لانخراطهم الفعلـــي في الاشتراكية وعندها يذوب الإسلام لفظاً كما ذاب معنى ونكون قـــد نجحنـــا في اســـتخدام الإسلام في تحطيم الإسلام والدخول تحت مظلته إلى شعوب العالم الإسلامي.

ب- مخططات الصليبية: بعد فشل الحروب الصليبية التي استمرت قرنين في استئصال الإسلام أعد الصليبيون خطة محكمة للقضاء على أمة الإسلام من بنودها:

- القضاء على الحكم الإسلامي بإنهاء الخلافة الإسلامية (الدولة العثمانية) على يـــد إنجلتـــرا واليونان وإيطاليا وفرنسا, وتمت السيطرة على اسطنبول, ولما بدأت مفاوضات مؤتمر لـــوزان لعقد الصلح بين المتحاربين اشترطت إنجلترا على قائد تركيا أتاتورك(3).

- إلغاء الخلافة الإسلامية وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله.

- أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة مع قطع مختلف الصلات بالإسلام أن تختار لها دستوراً مدنياً بدلاً من دستورها المستمد من الإسلام.

- إلغاء المحاكم الشرعية والمدارس الدينية والأوقاف وأحكام الميراث, وجعـــل الأذان باللغـــة التركية وقد تم ذلك كله على يد أتاتورك سنة 1928.

2- القضاء على القرآن ومحوه: يقول غلادستون في مجلس العموم البريطاني: (مـــا دام هـــذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشـــرق ولا أن تكـــون نفسها في أمان), ويقول المبشر الصليبي وليم جيفورد بالكراف: (متى توارى القرآن ومدينـــة مكة عن بلاد العرب أمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن

محمد وكتابه), ويقول المبشر كاتلي: (يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه حتى نقضي عليه تماماً), ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر بمناسبة مرور قرن من الزمن على الوجود الفرنسي: (يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم حتى ننتصر عليهم)(4).

3- تدمير الفكر الإسلامي وقطع منابعه وتجفيفها في ديار المسلمين حتى يسيروا في طريق الإلحاد والإباحية, يقول صموئيل رويمر رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس التبشيري المنعقد عام 1935:

(إن مهمة التبشير ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية فإن في ذلك هداية لهم وتكريماً... إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح لا صلة له بالله ولا بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها... إنكم أعددتم نشئاً في ديار الإسلام لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام و لم تدخلوه المسيحية وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار, لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات فإذا تعلم فللشهوات وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات إنه يجود بكل شيء في سبيل الشهوات... أيها المبشرون إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه) ويقول في كتاب الغارة على العالم الإسلامي: (إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتين: مزية هدم ومزية بناء، أما الهدم فنعني به انتزاع المسلم من دينه ولو بدفعه إلى الإلحاد, وأما البناء فنعني به تنصير المسلم إن أمكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه) ويقول المبشر تكلي: (يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني لأن كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية)(5).

4- القضاء على وحدة المسلمين لينمحي كيانهم وعزتهم وقوتهم ويصيروا إلى الضعف والذلة والهوان, يقول القس سيمون: (إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب وتساعد على التملص من السيطرة الأوربية).

وفي سنة 1907 عقد مؤتمر أوروبي ضم نخبة من المفكرين والسياسيين قال فيه وزير خارجية بريطانيا: (إن الحضارة الأوروبية مهددة بالانحلال والفناء), وقد قرر المؤتمرون أن الخطر المحدق

بها هو الإسلام، فاتفقوا على إنشاء قومية يهودية غريبة شرقي قناة السويس, فبدأت بريطانيا تتعاون مع الصهيونية العالمية الساعية إلى إنشاء دولة في فلسطين(6).

5- إفساد المرأة المسلمة من خلال حركات تحرير المرأة والمطالبة بحقوقها ومساواتها بالرجل ورفض تعدد الزوجات وحريتها في الطلاق يقول زويمر في رسالته (العالم الإسلامي اليوم): (ينبغي للمبشرين ألا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وتحرير المرأة) وتقول المبشرة آن ميلغان: (لقد استطعنا أن نجمع في صفوف كلية البنات في القاهرة عدداً من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي وبالتالي ليس هناك من طريق أقرب إلى تقويض حصن الإسلام من هذه المدرسة)(7).

ج- المخططات اليهودية والماسونية:

يهدف اليهود إلى:

- تجزئة أمم الأرض وإغراء بعضها ببعض بالحرب بين أنظمتها وبالفتنة بين شعوبها.
- إفساد عقائد الأمم وتحطيم مفاهيمها تحللاً من الأخلاق والنظم وانسلاخاً من الصراط المستقيم.

ومن وسائل تحقيق هذه الأهداف الجمعيات السرية وعلى رأسها الجمعية الماسونية يقول الأستاذ عبد الرحمن حبنكة في كتابه (مكايد يهودية): (إن الجمعية الماسونية التي يقبض على ناصية قمتها في العالم دعاة من أحبار اليهود وحكمائهم هي التي تخدم أغراضهم خدمة آلية يتحرك فيها الأفراد دون أن يشعروا إلى أين يسيرون و لمن يعملون؟!).

فالخضوع لإسرائيل اعترافاً ورضاء بالحل السلمي نتيجة من نتائج اعتناق أهل الغنى والجاه والنفوذ والسلطان في العالم الإسلامي لمبادئ الماسونية التي يستلذون في سبيلها لعنة الله والملائكة والمسلمين والتاريخ(8).

والمخطط الصهيوني في سبيل تحويل الإنسانية إلى بهائم يطيب لليهود ركوبها يتبنى آراء فرويد الذي يفسر كل شيء في السلوك الإنساني من خلال الجنس وآراء كارل ماركس الذي ألغى الأديان, وآراء نيتشه الذي ألغى الأخلاق ففي البروتوكول التاسع: (وقد تمكنا من تضليل غير

اليهود وإفسادهم خلقياً وحملهم على البلادة عن طريق تعليمهم المبادئ التي نعتبرها نحن باطلة على الرغم من إيحائنا بها) وفي البروتوكول الثالث عشر: (ولكي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن تكتشف بأنفسها أي خط عمل جديد لنا سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي والألعاب... يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا, إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ويصبح همه الأكبر إرواء غرائزه الجنسية و عندئذ تنهار أخلاقه).

وقد جاء في مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني لسنة 1933 قولهم: (يجب ألا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان وعلينا ألا نألو جهداً في القضاء على مظاهرها), وجاء في مضابط المؤتمر الماسوني العالمي لسنة1900 قولهم: (إننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم إنما غايتنا الأساسية هي إبادتهم من الوجود), وفي مجلة آكاسيا الماسونية لسنة 1903 جاء: (إن النضال ضد الأديان لا يبلغ غايته إلا بعد أن تحل الماسونية محل الأديان وتقوم محافلها مقام المعابد)(9).

د- المخططات الاستعمارية والتغريبية: وهي المخططات التي تستهدف إخضاع العالم وإحكام تبعيته سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وقانونياً وإدارياً وإعلامياً وتربوياً, وتستغل لذلك الحقد الصليبي وتستفيد من المخططات اليهودية يقول أحد أقطاب الاستعمار: (كأس وغانية تعملان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع, فأغرقوها في حب المادة والشهوات)(10).

وقد دخل الغرب إلى نفوس الشعوب الإسلامية عبر شعارات براقة ظاهرها الرحمة وباطنها إذلال المسلمين ومسخهم ثقافياً وتجريدهم من الخلق والمال والصحة والعلم:

- ففي الاقتصاد إشاعة الربا وامتصاص دم الضعفاء عبر بنوك التأمين والفوائد والقروض وحرية الاستثمار والاحتكار...

- وفي السياسة تبديد طاقات المسلمين وإشعال نار الفتنة بينهم وصرفهم عن منهج العدل والتشاور وإنزال الناس منازلهم والاستفادة من التفاوت الذي فطرهم الله عليه في المال والعلم والعقل والرشد والخلق عبر أسطورة الديمقراطية والأحزاب ومسرحية حكم الأغلبية...

- وفي القانون صرف الناس عن منهج الله الذي يصلح الفرد والمجتمع ويعمر ويبني في ظل التآخي والتعاون في الله تعالى عبر القانون الدولي والقانون الأوروبي الخاضعين لأهواء السلطات التشريعية واللذين يعالجان مظاهر الفساد علاجاً قاصراً ومحدوداً يمكنان لنموه وانتشاره...

- وفي الإدارة صرف المسلمين عن بناء ذواتهم بذواتهم وتدبير شؤونهم باختيارهم عبر الاستشارة الفنية الرامية إلى التوجيه والتحكم في شؤون البلدان الإسلامية...

- وفي التسيير الحيلولة دون إرادة البلدان في الاستيراد والاستثمار, وإدارة أفراد البلد وتحديد طاقته العمالية وتوجهه الاقتصادي وقيمه المعيارية عبر صندوق النقد الدولي وغيره من المؤسسات النقدية التي ترفع شعار العون والتنمية غير أنه في الواقع يرهق كاهل الدولة بديون تستفيد منها الثلث مقدماً على شكل قيم وعروض استهلاكية لا استثمارية وبشروط في منتهى التحكم والإرهاق ذلك أن ثلث ما يقدم يعود إليه عبر فنييه ومستشاريه في شكل عملة صعبة ويأخذ الثلث الباقي كفوائد على ما يقدم من قروض...

- وفي الإعلام إشاعة لأنماط الرذيلة والانحراف وتربية الجيل العالمي على العلمانية واللائكية (اللادينيّة), وعلى عظمة الغرب وعجز الإسلام وتعصبه وإرهابية أهله عبر شبكات الإرسال العالمية المرئية والمسموعة بأكثر اللغات انتشاراً وعبر العروض السينمائية والمجلة الشهيرة والصحيفة المنتشرة والكتاب الأنيق...

- وفي الجهود الخيرية صرف الناس عن إنشاء التعاونيات الخيرية والوقوف أمام ما أنشئ منها حتى الآن بدعوى إيوائها للإرهابيين وتهديدها لأمن الدول التي تنشأ على ترابها ومن ثم القضاء عليها لتقوم المنظمات الخيرية اليهودية والنصرانية بدورها كاملاً بعد أن نافستها عليه لردح من الزمن...

- وفي التعليم العمل على استبدال المناهج الإسلامية بالمناهج الغربية كلية حتى تتم الغلبة الكاملة والتحكم الأبدي في الأجيال القادمة يقول المبشر تكلي: (يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني لأن كثيراً من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية)(11), ولا غرو

فالنظام التعليمي روح وضمير كالكائن الإنساني تسري في جميع العلوم, وهي ظل لعقائد واضعي نظم التعليم ونفسياتهم وغاياتهم من دراسة الكون والعلم, ومظهر لأخلاقهم, وهو ما يمنح نظام التعليم حيث هو شخصية مستقلة. ونظام التعليم الغربي يحمل روحاً مستقلة وضميراً منفرداً تتجلى فيه عقيدة مؤلفيه وعقيدة واضعيه, وتطبيقه في المجتمعات الإسلامية يحدث صراعاً عقلياً ثم نزاعاً عقدياً, فانحرافاً عن الدين, فردة فكرية تنتهي بردة دينية حقيقية, لا يحول دون ذلك حسن النية أو القلق ورغبة الآباء والأولياء والاحتياطات الفرعية والخارجية, وأكثر ما يمكن هو تأجيل موعد ذلك أو إبطاء سيره أما تعويقه أو القضاء عليه فليس بالإمكان, إذ يستحيل أن نفرض على شجرة نبتت وترعرعت ثمرة شجرة أخرى غير أننا يمكن ألا نغرسها أصلاً أو نقطع عنها الماء والنور, فالعقيدة الدينية آخذة في الاضمحلال بسرعة بين الذين نشؤوا على أسس غربية, فقد تربى النشء تربية منظمة على احتقار ماضيهم, ومستقبلهم مستسلماً للمثل الغربية مقلداً لها في زيه وعاداته وتقاليده وثقافته ومظهره الخارجي يقود حتماً إلى الميل العقلي المصاحب لذلك إجمالاً وتفصيلاً, ومن ثم إلى الأخذ بوجهة النظر الغربية, يقول الكاتب الإنجليزي اللورد ميكالي في تقريره عام 1835 عن الهند: (يجب أن ننشئ جماعة تكون بيننا وبين الملايين من رعيتنا ترجماناً وستكون هذه الجماعة هندية في اللون والدم إنجليزية في الذوق والرأي واللغة والتفكير), ويقول المستشرق الكبير جيب: (والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب أو (الفرنجة) هو أن نتبين إلى أي حد يجري التعليم على الأسلوب الغربي وعلى المبادئ الغربية وعلى التفكير الغربي)(12) وإذا كان تغريب التعليم في البلدان الإسلامية هدفاً كبيراً ومسعى حثيثاً عند الغربيين، فما هي نتائجه ومظاهره؟ وكيف اتخذ شكل القدوة الصالحة في نظر بعض والطالحة في واقع الأمر؟

هـ- النموذج الغربي أو النمط الوافد: إن التعليم حامض يذيب شخصية الإنسان ويكونها كما يشاء, بل إنه أشد قوة وتأثيراً من أي مادة كيميائية, فباستطاعته تحويل جيل شامخ إلى كومة تراب, لذا فإن الدول التي مارست تربيتها بذاتها وكانت تملك الحرية في بناء مناهجها وإنشاء ناشئتها رفضت المناهج الخارجية رفضاً كلياً, فروسيا التي حملت راية الثورة على كل تقليد وتقديس وتقييد أخضعت جميع العلوم والآداب النظرية والتطبيقية حتى علوم الجغرافيا

وعلوم الطبيعة والتاريخ لمبادئها الشيوعية ولنظريات قوادها كارل ماركس, وانجليس ولـــنين وأصبحت تغار على ذلك غيرة المؤمنين القدامى على عقائدهم وحرماتهم, يقول العالم الطبيعي M.C.COVERN: (إن العلم الروسي ليس قسماً من أقسام العلم العالمي إنـــه قســـم منفصل قائم بذاته فأساس علومنا الطبيعية الفلسفة المادية التي قدمها كارل ماركس وانجلـــيس ولنين وستالين إننا نريد أن نخوض وفي أيدينا هذه الفلسفة في معترك العلم الطبيعـــي العـــالمي ونصارع جميع التصورات الأجنبية التي تناهض فلسفتنا الماديـــة والماركســـية بكـــل حـــزم وقوة)(13).

ولئن اشتهرت البلاد الرأسمالية بمبدأ التسامح الديني, والحرية المطلقـــة في المـــذاهب والآراء, والاستفادة من كل إنتاج بشري في مجال العلم والتجربة فإنها لم تسمح يوماً بالمواد الأجنبيـــة والمناهج التعليمية الوافدة, ولا حتى باستيراد الأساتذة السوفيتيين بل إن قادة التربيـــة منعـــوا استيراد التربية من بلد أوروبي إلى آخر مهما كانت وحدة المذهب الديني واتفاق الســـلالات وتفاوت الثقافات يقول الأستاذ الأمريكي (R JB con ont) في كتابه التربية والحريـــة: (إن عملية التربية ليست عملية تعاط وبيع وشراء وليست بضـــاعة تصـــدر إلى الخـــارج أو تستورد إلى الداخل إننا في فترات من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظريـــة التعلـــيم الإنجليزية والأوروبية إلى بلادنا الأمريكية)(14). ويقول أحد خبراء التربية البريطـــانيين: (إن مصلحة الحكومة في أن تطمئن إلى أن المدارس في حدودها كفيلة بنقل جميع أجـــزاء الحيـــاة القومية إلى الأجيال القادمة جيلاً بعد جيل... حتى ينشأ الأجيال ورثة للخصـــائص القوميـــة وخلفاء لآبائهم بالجدارة).

ويقول F WGOIGONT في كتابه التربية والغاية الاجتماعية: (إن أفضل محك لنجاح التربية وإخفاقها هو تقاليد المجتمع والقيم السائدة فعلينا أن نلاحظ دائماً أن كل محاولة للتقدم تقوم على القيم المقررة التي يؤمن بها هذا الشعب فيجب أن تقوم عليها جميع التجارب الـــتي يقوم بها رجال التربية).

يقول VERMON MALIN SON: (إن التعليم القومي عبارة عن ميثاق فكـــري تتجلى فيه غاية المجتمع ومساعيه المشتركة ويمثل هذا الميثاق العاطفة القومية ويكون مزيجاً من خصائص لا بد منها لتحقيق مطامع هذا المجتمع وأهدافه)(15).

إن هذه المقولات تكشف بجلاء اتفاق علماء التربية في العصر الحاضر على أن التربية ليســت بضاعة تصدر وتستورد, وإنما هي لباس يفصل على قامة الشعوب وملامحها وآدابها وأهدافها, فهي سبيل مهذب وطريق مستقيم ومنهج فعال لبناء العقيدة وغرس الأخلاق وإحكام مهيــع الحياة, ومد ذلك كله بروافد الإقناع الفكري القائم على الاعتزاز الإيجابي والثقــة الواعيــة بالنفس شريطة أن يقوم ذلك كله على الدلائل والبراهين العلمية ويحفظ ويخلد حــتى ينقــل سليماً من التحريف إلى الأجيال المقبلة.

فنظام التربية لا بد أن يقطع عن التبعية للغالب والتقليد للسائد ليصبح سعياً متواصلاً حثيثــاً يقوم به الآباء والمربون لتشكيل أبنائهم وفق الأسوة التي يرسمونها, ووفق العقيدة التي يؤمنــون بها, ووفق التصور الذي يتصورون به الحياة والكون, حتى يصبحوا ورثة صالحين للتراث الذي ورثه هؤلاء الآباء عن أجدادهم مع الصلاحية الكافية للتقدم والتوسع في هذه الثروة في حدود الضوابط العقدية والملامح السلوكية, يقول ابرو فسيور كلارك: (مهما قيل في تفسير التربيــة فمما لا محيص عنه أنها سعي للاحتفاظ بنظرية سبق الإيمان بها وعليها تقوم حياة آبائه وجهاده في سبيل تقليدها ونقلها إلى الأجيال القادمة).

ورغم هذه الحقائق التربوية والآراء العلمية الصريحة في مجال سد الباب أمام التربيــة الوافــدة مهما كانت أهميتها فإن الغرب لم يتحرج من استعمال المعايير المزدوجة, فروج لنظمه التربوية ونظرياته الفكرية عبر التعبئة الإعلامية تارة واتفاقات الإغراء والتهديد تارة أخرى, وبواسطة التدخل المباشر تحت شعار الرفع من قدرات العالم الثالث أو الدفاع عن حقــوق الإنســان وتأمين حرية الرأي والفكر, فأشرب العالم الإسلامي المفاهيم الغربية بالتــدريج واكتســحته موجة التجديد والتغريب التي تتحدى الكيان الفكري للإسلام وجهازه الاجتمــاعي وتهــدد بقاءه وحياته, فأصبحت بمقتضى هذه الموجة عاطفة الشعوب المسلمة وتضحياتها وجهودهــا وإخلاصها ووفاؤها وقوداً حقيراً في نار التجديد والتغريب, فانتشرت المــدارس وتعــددت

المعاهد وافتتحت الكليات والجامعات وفق الرؤية الغربية, وتبعاً للنموذج الغـــربي, ففرضـــت على المجتمعات الإسلامية نماذج لا تحصى من القدوات في كل مجال من مجـــالات الحيـــاة, في القول والفعل في التفكير والزي, في الأكل والشرب والنوم والحركة, في المتاع والمهنة... فما هي أهم الوسائل التي امتطتها الحضارة الغربية لتصل إلى هذه الأهداف التي يشهد واقعنا بأنها تحققت بنسبة كبيرة جداً؟

و- الوسيط الغربي أو النموذج العلماني: إنه بتقدم الأيام وجد تيار من الأمة الإسلامية يدعو صراحة إلى العلمانية والتغريب ويشكك في اللغة والدين, كان من أشهر أقطابه أتـــاتورك في تركيا, وقد كان هذا التيار وراء الدعوة إلى كتابة اللغة العامية, واستيفاد الخبراء الأجانب في مجال التربية, وإنشاء المدارس الأجنبية في البلاد الإسلامية, حتى أصبح نظام التعليم الحالي كما يقول المودودي: (غارة على الأمة الإسلامية ففي معاهده تدرس العلوم طبقاً لغرض الســـوق وتبعد عمداً دراسة فلسفة الإسلام وتاريخه وأساس الحكمة فيه...

ينجز عن هذا لا محالة تشكيل الحياة في ذهن الطفل بخريطة غير إسلامية في تفكـــيره وعملـــه وسلوكه ووجهة نظره، ذلك أن مزاج الحضارة الغربية ينافي كلية مزاج الإســـلام فالفلســـفة تبغي حل مشاكل الكون دون الله تعالى والعلوم تلغي الإيمان بالفكر ليصبح الطفـــل عبـــداً للماديات)(16) ذلك أن نظام التعليم الذي يقوم على نظرية غريبة عن الإسلام لا يمكـــن أن تنهض الأمة على أساسه ولا أن تستفيد منه فهو شيء لا يمت بصلة في مبادئه وقيمه إلى واقعنا الثقافي الأصيل.

وقد عدلت في وقتنا الراهن كل المناهج والبنى التربوية استجابة لهذه الروح العلمانية وفي ضوء الرؤية الغربية دون أدنى مراعاة لمبدأ الانتقاء والاصطفاء وفقاً لثوابتنا وخصائصـــنا الأصـــيلة, واهتمت مدارسنا بالدراسات النظرية على حساب العلوم التقنية وتم الانفصام بين الـــدروس والحياة والمقصد من الحياة وبين أجزاء الحياة نفسها وتضاربت الفلسفات المستوردة حين دعا بعضها إلى العدمية واليأس ودعا البعض الآخر إلى التحلل الخلقي, كـــل ذلـــك إمعانـــاً في امتصاص قشور الحضارة الغربية وسيطرة النظرة العلمانية واعتبار المال غاية نهائية يقول أبـــو الحسن الندوي: (لقد قلدنا الغربيين أو حاولنا تقليدهم في كل شيء إلا في الاهتمام بالجســـم

والرياضة البدنية وتربية الفروسية والبطولة حتى نشأ شباب رقيق ناعم لا صبر عنده ولا جلد ولا تماسك ولا ثبات ولا غلظة, ولا قوة، فالحياة جد وكفاح لا يثبت فيه إلا الشديد القوي, فجيل متوفر العلم سليم العقل قوي الجسم قوي الإيمان هو وحده الذي يستطيع أن يؤدي رسالة الإسلام والعلم والفضيلة ويشق طريقه في الأشواك والأخطار)(17).

فالواقع يشهد بتراجع التعليم في بلادنا الإسلامية بمئات السنين بعد أن كان مثالاً للشمول والتوحيد والتغيير والديمومة والعقلانية والحرية والعلم والحكمة والشوروية والأخلاقية والهداية والوقاية والعمل والجهاد وتكريم الإنسان واحترام الفروق الفردية وتحديد مسؤولية التربية, فأصبح تلفيقاً علمانياً وجمعاً نشازاً ورافداً غربياً بسبب سيادة النظرة العلمانية وتحكم المنهج الغربي, يقول محمد قطب: (وأما الشارع والمدرسة والمجتمع فأبعد شيء عن الصورة الإسلامية وأدخل شيء في الجاهلية ففي الشارع الجاهلي تنصب في أذن الطفل الشتائم البذيئة القذرة, تعري كل مقدس وتدنس كل حرمة, ولا يملك أن يصم أذنيه عنها ولا يلقي باله إليها وهي تلاحقه في كل لحظة وفي كل شارع بلا حياء... فضلاً عن التبرج الذي يقتل الإحساس بالعرض والتخلع والتميع والرقاعة التي تدمر كل قيمة من قيم الإنسان... ثم يذهب إلى المدرسة فيجد النفاق عملة متبادلة بلا تحرج والكذب والخديعة يقوم بهما الصغار والكبار فضلاً عن منظر الكاشفة عن صدرها وذراعيها وما فوق ساقيها وقد جاءت تقوم بالتربية!!! في ذلك المكان... وفي المجتمع يجد كل رذيلة يمكن أن تتصور أو لا تتصور تحدث كل يوم وبغير إنكار ويجد الفضيلة هي الشذوذ الذي يستنكر)(18).

فأنى لهذا الواقع أن يخرج النماذج الصالحة مدرسين وأطفالاً وهيهات أن يبني المعلم جيلاً راشداً لا يملك هو ذاته أي رصيد من أرصدته بل إنه في تصوره وسلوكه هدم لأسس ومبادئ مثل هذا الجيل, يقول الندوي: (ووجود معلم لا يتحقق بمبادئ الإسلام وغاياته ويدعو إليها بإخلاص وحكمة بل يعارض هذا النظام بفكره وعمله كوجود معول هدام في بناء شامخ, فلا ينجح نظام تعليمي ولا يؤتي أكله مهما كان كاملاً ومحكماً إذا كان المعلم مذبذباً متناقض الأفكار لا تتفق حياته مع رسالة الدين والعلم, فالعبرة ليست بالمقدرة التعليمية والمؤهلات العلمية بل إن للسيرة والأخلاق والمبدأ والغاية والإيمان والعقيدة المكانة الأولى, فزلة من زلات

المعلم تردي أمة بأسرها وتؤدي بها إلى الانحلال والتفسخ والفوضى في الأخلاق والاجتماع والسياسة والتعليم فتؤول إلى اللادينية والإلحاد)(19) لذا فإن أحمد شوقي قد عبر عن هذه الحقيقة وجلى هذه الصورة بقوله:

وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة جاءت على يده البصائر حولى

فما للمرء أن يحصد غير ما بذر ولا لسنة الله تعالى في الحياة تبديل فالجزاء من جنس العمل والنتائج من شكل المقدمات.

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل

إنه على العكس من ذلك ينشئ جيلاً منحرفاً وأفراداً غير أسوياء وقدوات طالحة ونماذج هابطة سواء على مستوى التوجيه والإرشاد أو على مستوى الرعاية والتربية, فما هي النتائج والآثار التي ترتبت على هذا الواقع السيء؟

ثانياً: آثار النموذج الهابط أو نتائج القدوة السيئة:

لقد خسرت الأمة بتكريس النماذج الهابطة وسيادة القدوة السيئة خسارات عظيمة على أصعدة السياسة والاقتصاد والإعلام والقانون والثقافة... وجماع ذلك كله خسارتها الجسيمة على صعيد التربية والتعليم تلك الخسارة التي يمكن أن نتبين أهم ملامحها عبر النقاط التالية:

- ظهور حركة التحرير والإباحية التي تأسست بإيعاز من الصهيونية, وتشجيع من الشيوعية والغرب الخليع, وروج لها العلمانيون المنبهرون بالغرب المقلدون له.

- الإلحاح على كون الدين قضية شخصية لا علاقة لها بالدولة والحكم والتأكيد على الفصل بين الدين والحياة, حتى تقطع الطريق بشكل نهائي على الإسلام.

- الاعتقاد بأن الدين عائق في سبيل النهضة والاكتشاف والتحقق بأسباب القوة والغلبة والتقدم.

- إعطاء المرأة حق الرجل كاملاً عملاً وزمالة وحركة في كل اتجاه من اتجاهات الحياة عبر التحطيم الكامل للحجاب بحجة أنه علامة استبداد الرجل بالمرأة وأن القضاء عليه خطوة التقدم الأولى.

– إدخال التغييرات والإصلاحات المناسبة لمنطق العصر على المجتمع, وصوغه وفق الرؤية الغربية باعتبار ذلك فريضة الساعة وواجب الوقت.

– صرف النظر عن الربا والميسر والقمار والعلاقات الجنسية المحرمة...

– الإيمان بالقومية والاندفاع نحو إحياء الحضارات واللغات العتيقة.

– اختلال الحالة النفسية وهستيرية المادة، وتحكم القيم الزائفة والمثل السقيمة كتقديس المادة وتمجيد أصحاب الأموال وهو ما يعني سيادة القيم المادية على حساب القيم الإنسانية اللائقة.

– برامج مدرسة الأعلام التي قد تقضي على البقية الباقية من آثار التربية الإسلامية، إلى جانب إحداث انفصام فكري وانشطار نفسي(OM).

– قصور المدرسة الحديثة وانحرافها في الأهداف بسبب:

- ضعف المستوى التربوي وعجز المناهج عن مواكبة التطور العلمي والتقني.
- تخلف وسلبية الطرق التربوية بفعل غياب الإصلاح واعوجاج المنهج وضبابية الهدف.
- انخفاض مستوى خبرة المعلم الابتدائي والثانوي والعالي وسوء وضعه المادي والاجتماعي والأدبي.
- عدم جدية الإشراف التربوي: الفني والإداري، وطغيان الذهنية السائدة المقهورة بالغرب والمنبهرة به على العملية التربوية، وتآكل أطراف العملية التربوية.
- شكلية الامتحانات وعدم تركيزها على الخبرات النوعية وعدم التنسيق الجيد بين متطلبات الظروف الحضارية وما يحصل عليه في المؤسسات التربوية.
- غياب شروط التنمية والتجاوز وهي: عنصر الثبات وعنصر التغير والقدرة على الانتقاء والاصطفاء في مجال التربية.
- حب التعطل والراحة والهدوء المصاب بمرض الفوضى الفكرية.
- التقليد والجمود وغياب الابتكار والاجتهاد بسبب ضعف الروح المعنوية والميوعة.
- انتشار الجهل المقنع والفقر المترفع الغارق في الطمع والاتكالية والتسكع واللامبالاة.
- ظهور العصابات الجانحة وانتشار الجريمة المنظمة(ON).

وهكذا فإن المدرسة التي تربت في أحضان الصهيونية وروج لها المستشـــرقون، وباركتـــها الصليبية، وتولى الغرب وعملاؤه من العلمانيين بناء مناهجها وترتيب أسسها واختيار قادتها، ومارست التربية فيها فئة منحرفة أخلاقيا وقاصرة فكرية كانت شراً على البلدان النامية.

يقول أبو الحسن الندوي: (لقد جنت المدرسة الحديثة على الأمة بأن خرجت جـــيلا مـــن الشباب المثقف فارغ الأكواب ظمآن الشفتين مصقول الوجه مظلم الروح مستنير العقل كليل البصر ضعيف اليقين كثير اليأس يؤمن بغيره وينكر ذاته ذليلاً للمادة ناظراً إلى غاية التعلـــيم كوظيفة ومرتب)(OO).

والحقيقة أن كل تعلم لا يؤدي إلى خدمة رسالة الأمة وغرس عقيدتها ونشر مفاهيمها غـــدر للأمة وخيانة للأمانة، وهو لا محالة أجنبي ينذر بالهدم والتخريب، إذ أنه يرزأ الأمة في طبيعتها وعقيدتها وروحها، فالمناهج المستعارة من لوازمها أن تكون قلقة نابية لا تساعد في المطلـــوب بل تنشئ صراعا مشؤوما لا تقل جنايته على حياة الأمة وسلامتها عن جناية صـــراع العلـــم والدين في أوروبا في قرونها الوسطى... وقد دفعت الأقطار الإسلامية لهذا التعليم الأجنبي وما جنت منه من فوائد مادية أثمانا قيمة غالية جداً في الأخلاق والروح والعقيدة.

يقول الندوي: (لقد اتفقت كلمة العقلاء وأهل التجربة على أن خسارة الأمة والبلاد في هذا النظام التعليمي وفي هذه المعاهد ودور التعليم الحديث كانت أكبر من ربحها بكـــثير، فقـــد استنفذ دعاة التعليم الحديث جهودهم واستنفدوا أموال المسلمين في إنشاء هـــذه المـــدارس وإقامتها واستخلصوا لها أفلاذ أكباد المسلمين وخيرة شبابهم فكان غاية ذلك بعد مدة قليلـــة فوضى فكرية هائلة واضطراب وتناقض في الأفكـــار والآراء وشـــك وارتيـــاب في الـــدين واستخفاف بفرائضه وواجباته وثورة على الآداب والأخلاق وضعف وانحطاط في الأخـــلاق والسيرة وتقليد أعمى للأجنبي في القشور والظواهر وتبذير للأموال...إلخ)(OP).

إن هذا الوضع المزري من التبعية والتقليد الأعمى إلا في الجوانب المضيئة، والاعتـــزاز بكـــل شيء إلا بالذات الإسلامية، والتشكل في مختلف الصور والألوان إلا في الصورة الإســـلامية، يشي بما ألمحنا إليه من سلطان الثقافة الغربية العلمانية في مستواها الردئ، يقول محمد الغزالي: (بعض الأطعمة يورث من يتناوله صداعا في الرأس واسترخاء في الأعضـــاء وانقباضـــاً عـــن

الأعمال وبعض ألوان المعرفة يترك في النفوس من التعكير والخمول ما تتركه هـــذه الأغذيـــة الرديئة في الأجسام)(QQ).

إن المتتبع لخريطة العالم الإسلامي يجد أن الحياة قد غلبت عليها هذه السمات علـــى مختلـــف أصعدتها، وفي مجال التربية بصورة خاصة والاستثناءات في هذا الباب محدودة ومحصـــورة في أضيق نطاق وفي أقل الدول على تفاوت في مساحة الاستثناء وطبيعة الاستثناء، ففي موريتانيا مازال الدستور وخصوصا في مادته المتعلقة بهوية الأمة ودينها يشكل سنداً للتربية الإســـلامية الشاملة ومازالت البرامج التعليمية وخصوصا على مستوى التعليم الأساسي تشـــكل قاعـــدة صلبة لقيام التربية على أسس صحيحة(QR) تتناول الحياة من خلال عقيدة الأمة وخصوصيتها الحضارية، غير أن عجز القائمين على التربية من مشرفين ومدرسين عن استغلال هذه الأبعاد وترجمتها إلى واقع حي على مستوى السلوك والتصور وعلى صعيد الأداء والإنجـــاز بســـبب سيادة روح اللامبالاة، وضعف المستوى المعرفي لدى الشريحة المثقفـــة، وازدواجيـــة النظـــام التعليمي وتراجع الثقة في المدارس النظامية جراء تفوق المدارس الحرة عليها في بعض الجوانب، وهبوط مستوى الكفاءة وغياب الرقابة الواعية الرشيدة، وضبابية الهدف واعتبـــار المكســـب المادي غاية ووسيلة في ذهن المعلم والمشرف والتلميذ.... فضلا عما ترزح تحته النظم التربوية من تأثيرات المناهج والنظريات الغربية التي تغطي مساحة كبيرة من المكتبة والمرجع التربويين، وتستمد قوتها واستمرارها من شروط بنوك التنمية ومن عمل المستشارين الفنيين الوافدين في شكل مساعدات فنية أو الذين يشكل وجودهم ومساهمتهم في إدارة العمليات التربوية بنـــداً من بنود اتفاقيات القروض المبرمة مع صناديق التنمية أضف إلى ذلك الأثر القوي لحمـــلات التبشير، وهيئات التنصير ومعاهد العلمنة، والذي تمكن لـــه الأفـــلام الســـينمائية والـــبرامج التلفزيونية والشارع الفاسد بل إن جل أنواع التربية اللامقصودة في البيت والشارع والمجتمع ترسم معالم شخصية الأولاد قبل المجيء إلى المدرسة في المرحلة الأولى، وتقوم بهدم ما تقدمـــه المدرسة من جوانب مضيئة في مرحلة ثانية فإذا كان للقدوة هذا الأثر العميق سلباً أو إيجاباً في توجيه الحياة وصياغتها، فهي توصل الإنسان إلى شاطئ الأمان وحديقة الرفاه وذروة الرشاد وحقيقة السعادة حين يأخذ نفسه بالدين الكامل، فيعمر الأرض وينفي الخبث ويصلح الحياة

أو تهوي به في دركات الغي حين يسلم نفسه للهوى ويتبع الشيطان فتصبح الأرض مستنقعاً وبيئاً تتآكل عليه الديدان. فكيف نبعد سيئها ونقتني صالحها؟

N -تربية الأولاد في الإسلام/ م.س.ذ/ ج2/ ص:TVO.

O -التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية/ م.س.ذ/ ص: TVP.

P -تاريخ التربية الإسلامية/ د. أحمد شبلي/ مكتبة الانجلو مصرية/ ط8/ NWSM/ صOQP.

Q -تربية الأولاد في الاسلام/ م.س.ذ/ ج2/ ص:TVV.

R -المدخل إلى الخدمة الاجتماعية الإسلامية/ د. محمد سلامة/ المكتب الجامعي الحديث/ ط8/ NWUQ/ ص: OTR.

S -نظرية شيخ الإسلام في السياسة والاجتماع/ هنري لأورست/دا الأنصار/ ط8/ NWTS/ ص:VT.

T -تربية الاولاد في الإسلام / م.س.ذ/ ج2/ ص: UNR.

U -أصول التربية الإسلامية وأساليبها/ م.س.د/ ص: NNT.

V -المدخل الى الخدمة الاجتماعية الإسلامية/ م.س.ذ/ ص:NTV.

NM -معركة التقاليد/ محمد قطب/ مكتبة وهبة/ ط8/ NWSO/ ص: UT.

NN -تربية الأولاد في الإسلام/ م.س.ذ/ ج2/ ص:UNM.

NO -نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية/ أبو الحسن علي الندوي/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ط8/ ص RQ.

NP -نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية/ م.س.ذ/ ص: RT.

NQ -فلسفة المعرفة في القرآن/ م.س.ذ/ ط8/ NWTP/ ص: ST.

NR -مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية/ د. عباس مدني/ الدار الجزائرية/ ط8/ NWUQ/ ص: NTT.

NS -مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية/ م.س.ذ/ ص: ONT.

NT -نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية/ م.س.ذ/ ص: NNT.

NU -مناهج التربية الإسلامية/ م.س.ذ/ ج2/ ص: NTV.

NV -نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية/ م.س.ذ/ ص: UT.

OM -مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية/ م.س.ذ/ ص: PS.

ON -رائد التربية وأصول التدريس/ م.س.ذ/ ص:OPM.

OO نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية/ م.س.ذ/ ص: QT.

OP نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية/ م.س.ذ/ ص:V.

OQ -الإسلام والطاقات المعطلة/ محمد الغزالي/ الزيتونة للإعلام والنشـــر/ ط/ NWUT/ ص:SN.

OR -شهد التعليم عدة إصلاحات:N- الإصلاح الأول سنة NWRV ركز علـــى إضـــافة ساعات لتدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية.

O- الإصلاح الثاني سنة NWST ركز على زيادة ساعات العربية والتربية الإســـلامية مـــن خلال تحقيق الازدواجية.

P- الإصلاح الثالث سنة NWTP ركز على فتح المجال أمام طلاب المحظرة وإزالة الحـــواجز بينها وبين المدرسة .

Q- الإصلاح الرابع سنة NWUM ركز على تخصيص سنة للتربية الإسلامية وإلغـــاء اللغـــة الفرنسية من النظام التعليمي بالتدريج لتستبدل باللغات الوطنية .

الخلاصة

والخلاصة التي نصل إليها أنه لبناء الجيل الصالح الفاعل وتشكيل القدوة الصالحة وإبعاد النموذج الهابط في حياة الأمة لابد أن نتوسل بالإيمان الصحيح في ممارسة النشاط المعرفي كشفاً وتجميعاً وتوصيلاً ونشراً ونبني مفردات المعرفة من نسيج المعطيات التي حددها الوحي وكشف عنها النشاط الفقهي وصولاً إلى إسلامية الوجهة والممارسة والمفردات، وإلى انسجام كامل مع سنن الله تعالى ونواميس الكون بوصف ذلك ضرورة عقدية وحاجة إنسانية ومطلباً حضارياً وغاية علمية ووسيلة إصلاحية في ضوء الوعي الكامل بأن ما أصاب الأمة تفريط في دين الله تعالى هي مسؤولة عنه برمتها، وعلاجه لا يكون بالتسول على موائد الغرب واستجلاب نظمه ودساتيره وأفكاره.... التي لم تنقذ الغرب نفسه من الانهيار الذي يؤذن به بسبب الخواء الروحي، بل بالعودة الصادقة إلى الإسلام وبعد ذلك ستطالعنا صورة الإنسان الصالح الذي يمكن أن يكون نموذجا للإقتداء، إننا أمام إنسان عابد تظهر ملامح التقوى والخشوع والحياء على وجهه هادئ قوي في كل حالاته مستعل بالله تعالى في كل أموره، دعوة إلى التواضع والقصد والاعتدال في كل شؤونه، فهو في وجه الظلم والعدوان مستعل ولو كان في موقف الهزيمة، وهو في وجه المغريات مستعل ولو كان في حاجة، وهو في وجه الشهوات مستعل ولو أحس بلذعها في أعصابه، وهو في وجه القيم الزائفة مستعل لأنه يملك القيم الحقيقية المستمدة من منهج الله تعالى دون أن يحتقر الناس في استعلاءه، بل إنه شخص إنساني النزعة يفيض قلبه بالعطف على بني الإنسان بكل ما فيهم من ضعف بشري وكل ما فيهم من طمع وجشع ولجاجة وغرور.... وهو شخص متوازن تلمح الاعتدال في سلوكه وفكره وفي شعوره لأن فيه قوة ضابطة موجهة مهتدية بمنهج الله تعالى ودستوره، استقلالي النزعة واجتماعي في الوقت ذاته إلى أبعد الحدود، نظيف في ثيابه و سلوكه و تعامله مع الناس، حساس بالجمال على نظافة واعتدال وفي حدود ما أباح الله تعالى وهو في هذا كله متوكل على الله سبحانه.

فالإسلام يحرص على استغلال الطاقة البشرية بشكل موزون ينمي القوة في الحق والتضحية في سبيل الله تعالى والصدق والأمانة والإخلاص والاستقامة والرحمة والمودة والحب وعمل

الخير والجمال والخلق من خلال التعلق بالنموذج الكامل نموذج رسول الله ﷺ فبالتأسي به ﷺ ترتفع جوانب من حياة الأمة والأفراد بحسب الطاقة التي يملكون، وقد تحقق هذا الارتفاع في أعلى صوره في أشخاص الصحابة والتابعين ثم قلت النماذج ولكنها لم تنقطع قط من الوجود، وارتفاع الناس لن يكون إلا درجات مختلفة يقترب بعضهم من القمة الشامخة، ويصعد بعضهم درجات، وبعضهم يتعب فيجلس في الطريق ليستريح، ويهبط بعض على الأرض، غير أن ذلك قد يحدث والمجتمع يرتفع في عمومه، فالطريق الصحيح إلى بناء القدوة الصالحة هو رسم الصورة المتكاملة للتربية السليمة التي تحتاج بالضرورة بالنظر إلى مناهجنا الحالية إلى إعادة النظر الفاحص وفقا لمقتضيات الحكمة واليقظة والعدل، وبعبارة واحدة وفقا لمتطلبات البناء التربوي الإسلامي السليم من خلال:

- صياغة أهداف التربية تحقيقا وضبطا لخطة تربوية شاملة متكاملة يبرز فيها الوعي بقيمة النخبة إلى جانب القاعدة وتصاغ وفقا لعدل الإسلام واعتداله وشموليته في إطار منهجي سليم خال من رواسب الفكر الغربي للخروج من حلقة النفعية المفرغة والوصول إلى غرس السجايا الأخلاقية كحب العمل والصدق والأمانة والدقة في القياس والصبر وحب التنسيق والترتيب والمحافظة على الوقت وحب البحث والتحري والاكتشاف.
- صوغ السياسة التربوية برمتها من خلال معايير متكاملة تلتزم النوعية في الكمية والوحدة إلى جانب الأصالة وتوازي بين الكم والكيف، فلا تكون الوحدة على حساب التنوع والثراء والعمق، وتقوم على تخطيط شامل ودقيق.
- إحياء بعض المؤسسات القديمة كالجوامع والكتاتيب القرآنية والزوايا والمدارس والمعاهد الدينية على جانب كليات الشريعة والجامعات الإسلامية وتزويدها بالكفاءة الممتازة والإمكانات والوسائل المادية والأدبية، وبعبارة واحدة بعث التراث الإسلامي الحي مظهر عبقرية الأمة مع العناية بالقرآن والسنة المطهرة.

- إنشاء مؤسسات ابتدائية وثانوية وجامعية وما بعدها للمتفوقين أصحاب القدرات العالية من ذوي قابلية الابتكار والإبداع والاختراع في مختلف العلوم والمعارف والتكنولوجيا والصناعات.
- وضع سياسة خاصة بالنخبة من شأنها تشجيع الأدمغة المهاجرة على العودة وإعداد الظروف المناسبة لنمو العبقريات بما في ذلك إنشاء قسم دراسي في كل مستويات التعليم ومؤسساته خاص بالمتفوقين مع ما يستلزمه ذلك من مناهج وطرق خاصة بهم.
- إعادة صياغة المناهج التربوية وطرقها وأساليبها في الإعداد المهني لتحقيق النوعية المثلى والتخلص من سلبيات التجارب القديمة والحديثة التي أدت إلى تناقضات انتهت بالانحلال والتمزق من الداخل، وهو ما خطط له الغرب بدهاء، أما التجارب القديمة فإنها عانت من الجمود والتحجر والشكلية وبالتالي انعدام روح الابتكار والتجديد والتجاوز وهذه الصياغة تقتضي إصلاحا جذريا يضمن الفاعلية والمنهجية لاستغلال طاقات الطفل والمراهق والراشد وهذا يتطلب فتح مراكز تربوية، تقوم بالبحث في كل مستويات التعليم وفروعه بغية تطوير تقنية علوم التربية.
- العناية الكافية بالشخصية من الناحية الجسمية والنفسية والأخلاقية بما يضمن شخصية ممتازة في دينها وأخلاقها وعلومها وخبراتها، إذ من مهام النخبة القدوة الحسنة والقيادة الرشيدة والريادة الممتازة ديناً وعلماً بما يعنيه ذلك من تشبع بالإيمان وتحل بالفضيلة وتنمية للولاء والصفاء وروح التعاون والتعاطف بين أبناء الأمة المسلمة، وتأمين الصحة الجسدية والعقلية، وتأكيد مفاهيم الشورى والوحدة والشمول في إطار سعي غير منقطع لتحصيل العلم والعمل به، والمشاركة الفعالة في مختلف جوانب الحياة مع مراعاة واعية للفروق الفردية والقابليات والاستعدادات المختلفة وإقامة تعاون مثمر بين البيت والمدرسة والمسجد.

- إنشاء مؤسسات للأطفال المعوقين والتلاميذ المتخلفين حتى نجعل منهم متفـــوقين على الأقل في الصناعات والحرف والعمل اليدوي.
- التخطيط التربوي الفعال وما يقتضيه من تعيين وتحديد أهداف التربية الإســـلامية وتوفر زعامة مشبعة بالمبادئ والحقائق الإسلامية وملمة بحقائق العلـــم الحـــديث وشؤون الحياة الإنسانية في عصرنا، ووجود طاقم من علمـــاء وخـــبراء التربيـــة والتعليم يؤمنون بالله تعالى ويدركون ضرورة البديل الإسلامي على أن يتم ذلك بواسطة جهاز إحصائي دقيق وصادق وشامل وعموما فـــإن شـــروط التنميـــة والتجاوز والإصلاح وبناء القدوة الصالحة أو الشخصية السوية أو المواطن الصالح تقوم على:

-عمود الثبات الشاهد على بداية تتعاقب عليها كل أجيال الأمة في طريق الغاية.

-عمود التغيير الذي يضفي على الركن الثابت ألوان العصر المتعاقبة ومميزات الأجيال المتلاحقة.

-القدرة على الانتقاء والاصطفاء للخبرة الذي يتم بواسطة الميـــزان القويم والجهد العبقري الواعي لمواطن القصور والضعف وجوانب القوة والكمال.

-علاج المشكلة التربوية على المستوى الحضاري الشامل في ضـــوء المعطيات المعيارية المتمثلة في القرآن والسنة النبوية المطهرة وما أثر عن الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين النابهين في مختلف العصور على مستوى المفاهيم والقيم والغايات والخصائص المتعلقة بالتربية الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية وكذا الشأن في العقيـــدة والأخلاق، والمعطيات الموضوعية التاريخية المتمثلة في الواقع كما هو في كل أبعاده الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفي أوضاع العالم المعاصر وما يسوده من التقنية والبيداغوجيا (التربية)

والتكنولوجيا الصرفة التي يمكن استخدامها دونما تأثير على ما له علاقة بالجوانب المعيارية المتعلقة بشخصية المنظومات التربوية الإسلامية، وبتحقيق هذه الشروط والمقتضيات يتم لزوماً بناء القدوة الصالحة وقطع الطريق على النموذج الهابط وهو ما يعني سيادة النموذج الإسلامي بما يعنيه من خدمة للأمة وللإنسانية برمتها عبر بناء الوعي الذي هو إدراك جماعي لما يلزم أن تصير إليه الأمة.

المصادر و المراجع

N المصحف الشريف.

التفسير:

O سيد قطب/ في ظلال القرآن/ دار الشروق/ بيروت/ ط/T NWUM.

الحديث:

P ابن حجر العسقلاني/ فتح الباري على صحيح البخاري/ مؤسسة مناهل العرفان/ ط NWVMN.

Q الإمام النووي/ رياض الصالحين/ دار التراث/ بيروت/ ط NWUV/NM.

R الزبيدي/ التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح/ دار النفائس/ ط/R NWVO.

S سعدي ياسين/ الإيضاح في علم الحديث وعلم الاصطلاح/ المكتب الإسلامي/ بيروت/ ط/N NWUN.

T محمد ناصر الدين الألباني/ صفة صلاة النبي ﷺ/ المكتب الإسلامي/ ط/V/ بدون تاريخ.

U محمد حبيب الله بن مايابى الجكني/ زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم/ دار الفكر/ ط/N NWUN.

الفقه:

V أبو بكر الجزائري/ منهاج المسلم/ دار الكتب السلفية/ القاهرة/ ط/O NWUT.

NM – أبو حامد الغزالي/ إحياء علوم الدين/ دار المعرفة/ بيروت/ ط/N NWSQ/ ج/N.

NN- السيد سابق/ فقه السنة/دار الفكر/ ط/R NWVO/ ﻫ/N.

التاريخ والتربية والفكر واللغة:

NO- أبو الفيض المنوفي الحسيني/ جمهرة الأولياء وأعلام التصوف/ دار الفكر/ ط/N NWST/ ج/N.

NP- ابن الجوزي/ صفة الصفوة/ دار الفكر / ط/NWTU/N.
NQ- د. أحمد شبلي/ تاريخ التربية الإسلامية/ مكتبة الأنجلو مصرية/ ط/NWSM/N.
NR- أبو الحسن علي الندوي/ نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ط/R/ بدون تاريخ.
NS- ابن كثير/ البداية والنهاية/ دار الشروق/ بيروت/ ط/NWTU/T.
NT- ابن خلكان/ وفيات الأعيان/ دار الفكر/ بيروت/ ط/NWTV/R/ ج/Q، P.
NU- أنور الجندي/ تاريخ الصحافة الإسلامية/ دار الأنصار/ ط/NWUQ/N.
NV- أحمد أمين/ كتاب الأخلاق/ دار الكتاب العربي/ بيروت/ ط/NWOR/P.
OM- جماعة من الأساتذة/ الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية/ بيروت/ لبنان/ ط/R/ NWUO.
ON- الخالدي/ الشهيد الحي/ دار الشروق/ بيروت/ ط/NWTU/N.
OO- الخليل النحوي/ المنارة والرباط/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم/ ط/N/ NWUT.
OP- الذهبي/ سير أعلام النبلاء/ دار الشروق/ بيروت/ ط/NWWO/O/ ج/Q.
OQ- ربي أوبير- ترجمة: د. عبد الله عبد الدائم/ التربية العامة/ دار العلم للملايين/ بيروت/ ط/Q/NWTV.
OR- سيد قطب/ كيف نستوحي الإسلام/ مكتبة وهبة/ ط/NWUN/N.
OS- صالح بن عبد الله بن حميد/ القدوة/ الندوة العالمية للشباب الإسلامي.
OT- عبد الرحمن الخلاوي/ أصول التربية الإسلامية وأساليبها/ دار الفكر/ دمشق/ ط/N/ NWUV.
OU- عبد الفتاح عاشور/ منهج القرآن في تربية المجتمع/ مكتبة الخانجي/ مصر/ ط/N/ NWTV.
OV- عبد الله علوان/ تربية الأولاد في الإسلام/ دار السلام/ بيروت/ ط/N/NWUQ/ ج/N، O.

PM- عبد الحميد فايد/ رائد التربية وأصول التدريس/ دار الكتاب اللبناني/ ط NMUNQ.
PN- علي عبد العظيم/ فلسفة المعرفة في القرآن/ مجمع البحوث الإسلامية/ ط NMTP.
PO- د. عباس مدني/ مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية/ الدار الجزائرية/ ط NMUQ
PP- د. عبد الرحمن رأفت الباشا/ صور من حياة الصحابة/ وزارة المعارف/ المملكة العربية السعودية/ ط بدون رقم/ NMVM.
PQ- د. عبد الرحمن رأفت الباشا/ صور من حياة التابعين/ وزارة المعارف/ المملكة العربية السعودية/ ط بدون رقم/ NMVO.
PR- الفيروز أبادي/ القاموس المحيط/ مؤسسة الرسالة/ ط NMUS.
PS- فوزي سالم عفيفي/ السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين/ دار الصحافة للتراث بطنطا/ ط NMVN.
PT- د. القرضاوي/ الوقت في حياة المسلم/ دار المعرفة/ الدار البيضاء/ ط NMUQ.
PU- د. محمد منير مرسي/ التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية/ عالم الكتب/ القاهرة/ ط NMUO.
PV- محمد قطب/ مناهج التربية الإسلامية/ دار الشروق/ بيروت/ ط NMUP/ ج O،N
QM- محمد بن الدناه م حركة التجويد في موريتانيا من خلال مباحث الضاد والجيم والهاء/ بحث لنيل شهادة المتريز في العلوم الشرعية والعربية/ المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية/ السنة الدراسية NMVP_VO.
QN- محمد أحمد الراشد/ صناعة الحياة/ دار المنطلق/ الإمارات/ ط NMVO.
QO- د. محمد فاضل الجمالي/ نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي/ الدار التونسية للنشر/ ط NMTU.
QP- مصطفى محمد طحان/ القيادة في العمل الإسلامي/ إدارة الوثائق/ ط NMUR.
QQ- محمد المختار بن اباه/ التربية الإسلامية بين القديم والحديث/ منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم/ ط NMUV.

QR- د. محمد سلامة/ المدخل إلى الخدمة الاجتماعية الإسلامية/ المكتب الجامعي الحديث/ ط/ NMUQ.

QS- محمد قطب/ معركة التقاليد/ مكتبة وهبة/ ط/ NMSO.

QT- محمد الغزالي/ الإسلام والطاقات المعطلة/ الزيتونة للإعلام والنشر/ ط/ NMUT.

QU- محنض بابه ولد أمين/ اختصار غزوات سيلوم/ مخطوط/ يوجد بحوزة عبد الله ولد أمين.

QV- محمد بن عقيل موسى/ سلوك الأدب جمال الحياة/ دار الأندلس الخضراء/ جدة/ ط/ NMVQ.

RM- محمد قطب/ كيف نكتب التاريخ الإسلامي/ دار الشروق/ ط/ NMUQ.

RN- الندوة العالمية للشباب الإسلامي/ الإعلام الإسلامي والعلاقات الاجتماعية/ الرياض/ ط/ NMTS.

RO- هنري لاروست/ نظريات شيخ الإسلام في السياسة والاجتماع/ دار الأنصار/ ط/ NMTS.

المحاضرات والدوريات والوثائق:

RP - د. الصوفي ولد محمد الأمين/ بحث بعنوان: "الرياضة في الإسلام"/ دروس المدرسة العليا للتعليم بنواكشوط/ السنة الدراسية NMVR/NMVS.

RQ- د. عصام البشير/ الأسوة الحسنة/ محاضرات بالجامعة السودانية أم درمان/ NMVM

RR- أ. عبد الكريم الخطيب/ الوعي الإسلامي/ السنة NT/ العدد NMR/ يناير NMUN

RS- مفتشية التعليم الأساسي/ برنامج التعليم الأساسي/ NMVR.

فهرست الموضوعات

العنوان..... الرقم
تصدير..... N
قول معروف.....
المقدمة.....

الفصل الأول

أولاً: مفهوم التربية بالقدوة.....
N- الضرورة التربوية.....
O- الأسس النفسية.....
P- الأشكال التربوية لنقل أثر القدوة.....
ثانياً: تاريخ النشأة أو البناء.....
ثالثاً: الإطار المرجعي.....
رابعاً: سر الوجود أو حكمة الإيجاد.....
خامساً: مقومات القدوة أو ملامحها وخصائصها.....
سادساً: مكانة القدوة من أساليب التربية.....
هوامش الفصل الأول.....

الفصل الثاني

أولاً: الأدلة والشواهد.....
- القرآن الكريم.....
- الحديث الشريف.....
- الحكماء والمربون والشعراء.....
- الدراسات التربوية.....
ثانياً: الشروط والمقتضيات.....
N-قواعد بناء القدوة الصالحة.....

- في مجال الحياة العامة.....
- في مجال الحياة المدرسية.....
O- معوقات بناء القدوة الصالحة.....
- في مجال الحياة العامة.....
- في مجال الحياة المدرسية.....
P- معيار القدوة الصالحة أو ميزان النموذج الأسمى.....
هوامش الفصل الثاني.....

الفصل الثالث

N- المثال الأسمى أو القدوة الحسنة.....
- الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.....
- الصحابة رضوان الله عليهم.....
- التابعون.....
- الأئمة والحكماء.....
- الإعلام المستنير أو النور الإعلامي.....
- العادة الخيرة أو التقليد الزكي.....
O- نتائج أو آثار القدوة الحسنة.....
هوامش الفصل الثالث.....

الفصل الرابع

N- أشكال وأصناف النموذج الهابط.....
- مخططات الشيوعية.....
- مخططات الصليبية.....
- مخططات اليهودية والماسونية.....
- المخططات الاستعمارية والتغريبية.....
- النموذج الغربي أو النمط الوافد.....

- الوسيط الغربي أو النموذج العلماني.....
O- آثار النموذج الهابط أو نتائج القدوة السيئة.....
هوامش الفصل الرابع.....
الخلاصة.....
المصادر والمراجع.....
فهرست الموضوعات.....